الجزء الثانى

من كتاب الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة

تراجم سنة ثلاث وستمائة :

تسع

المشارقة :

ا — من العراق :

١ — إسماعيل بن مواهب الحظيرى

٢ — جعفر بن هبة الله الكفر عزى

٣ — الحسن بن هبة الله بن دهن الحصى

٤ — أبو الحرم مكى بن زيان الماكسينى

٥ — أبو المحاسن الحسن بن نوفل الحلبى

من مصر :

١ — أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندرانى

المغاربة :

ا — من المغرب الأقصى :

١ — أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمى القاضى

٢ — أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكورانى

ب — ومن الأندلس :

١ — عبد المنعم بن مظفر الغسانى

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

تراجم سنة ثلاث وستمائة

تسع

الترجمة الأولى

[ابن مواهب]

إسماعيل بن مَواهب الحظيرى[١] . شاعر من الحَظِيرة ، ضَيعة كبيرة مشهورة من أعمال دُجيل بالجانب الغربىّ من دِجلة بين بغداد وتَكْريت .

ذكر المؤرّخون أنه مات فى سنة ثلاث وستمائة. وذكر لى الشَّرفُ يعقوب الإرْبلى أنه اُجتمع به فى إربل وغيرها وأنشده كثيراً من شعره . وكان مستجدياً جوّالا فى الآفاق .

قال: وقلت له مرةً : أرى مجد الدين بن الأثير[٢] يُكرمك ويُحبك حاضراً ، ويثنى عليك غائباً ، فلِمَ لا تمدحه ؟ فقال : أهل محبّتك [٥٦ظ] لا تجعلهم موضعاً لاُستجدائك / فقلت له : أنت أعرف بطريقك .

قال : وممّا أنشدنى من شعره فكتبتُه فى اُختياراتى قولُه :

[طويل]

إذا شِئْتَ طِيبَ العَيْش لا تَكُ خادمًا ... لشخصٍ ولا مَخْدومَه أبدَ الدَّهْرِ

وحاولْ كَفافاً تَنْجُ من كُلْفة الغِنَى ... وتَخْلُصْ من الذُّل المُلازم للفقْر

---

(١) فى تاريخ ابن الساعى : « أبو محمد إسماعيل بن على بن محمد بن مواهب » .

(٢) هو المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانى الجزرى أبو السعادات مجد الدين ، المحدث . ولد فى جزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤ هـ وانتقل إلى الموصل. ومن تصانيفه : النهاية فى غريب الحديث. وهو أخو ابن الأثير المؤرخ . وابن الأثير الكاتب. وكانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ. (انظر وفيات الأعيان . وبغية الوعاة) .

وقولُه يَعتذر عن الأنقطاع بتَوالى المَطر :

[رمل]

عاقَنى عنكَ تَوالِى المَطَرِ ... واصـــلاً آصالَه بالبُكَرِ
مَلأ الأَرْضَ وُحُولاً أَصبحت ... وهى مثل الحِبْر هَلَّا الحِبَر
فكأنّ البحرَ أضحى فَوْقنا ... سائلاً أجمعُهُ لم[1] يُسْجَر
نِعمَةٌ آضَتْ لَعَمرى نِقْمةً ... عَمَّت البَلْوَى بها فى البَشَر
وعلى ذاك فإنْ أَرْسلتَ لِى ... سابحاً خُضْت بذاك البَحر
لا تَظُنَّ الأمرَ عندى هَيِّناً ... غَلَب الشوقُ على مُصْطَبرى

وأنشد له صاحب تاريخ إربل[2] :

[كامل]

غِبْتُم فما لِى فى التَّصبُّر مَطْمعٌ ... عَظُم الجَوَى واشتدّت الأَشواقُ
لا الدَّارُ بعدكمُ كما كانت ولَا ... ذاك البهاء بهـــا ولا الإشْراق
أَشتاقكم وكذا المُحبّ إذا نَأى ... عنه أَحِبَّـــةُ قَلبه يَشْتاق

---

(١) لم يسجر ، أى لم يفرغ . والمسجور ، كما يكون بمعنى الممتلىء، يكون بمعنى الفارغ ، من الأضداد .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٩) من هذا الكتاب .

الترجمة الثانية [37a]

[الكفر عزى]

خطيب إربل وقاضيها جعفر بن هبة الله الكَفْرعَزّى، العالم المُتفنن، من كَفْرعَزّى : ضيعة من ضياع مدينة إربل حاضرة بلاد الأكراد .

وصفه صاحب تاريخ إربل[1] بالتفنّن فى العلوم ومعرفة النحو والهندسة والحساب ، واشتهاره بإقراء ذلك مدةً .

ووجدتُ الشَّرف يعقوب ملآنَ بأخباره وأشعاره ، فذكر أنَّه كان على ما جُعل إليه من خُطة القضاء بتلك المملكة ، وأستولى عليه من الخطابة على مِنْبر سلطانها ، من أَرقّ الناس حاشية وأَطبعهم مَنزعا .

ومن مُستطرف حكاياته أنه كان فى أول أمره متصدِّرًا يُقرأ عليه النحو وغير ذلك ، وكان فتًى من فتيان إربل يَتردّد إليه برَسْم قراءة النحو والأدب . ثم إن ذلك الفتى ٱلتحى وأَدخل نفسه فى / الأشغال [37b] السلطانية. فصارَ مرْهوب الجَناب، مَطروق الباب. واتفق أنه لزم وَضْعٌ سُلطانىّ أهلَ إربل ، فدَخل الكَفْرعَزّى فى ذلك فأساء فيه مُعاملته . وكان ذلك الأمر قد جُعل إليه ، فأَلزمه أن يحضُر مجلس الشّغل ويدفع ما رُسم عليه . فوصل إلى المجلس وهو غاصٌّ وما هناك إلا مَن يعرف مِقداره ، ويلتزم إكباره ، فجلس وأنشد مُشيرًا إليه :

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٩) من هذا الكتاب .

[مخلع البسيط]

هذا مَقامى لديك يا مَنْ ... أقام دَهْـــرًا وراء بابى
أَقْصَى أَمانيــه قرْبُ إذْنٍ ... فى دَوْلة الحُسْن والشَّباب
إن كنتَ أَنْسيتَ ذاكَ فانظُرْ ... فى فَرد بابٍ من[1] الكتاب
لا تَغْترِرْ بالزَّمانِ يَوْمًا ... وأَفْكِرْ إذا سِرْتَ فى الأَبابِ[2]
مَخارقُ الجــاه ليس تَبْقَى ... ومَوقفُ العَزْل كالحِسَاب
فافْعــل على قَدْر ما تُلقّى ... وقلْ فلا بُدَّ من جَواب

فاستحيا ذلك العاملُ على قِلّة حيائه ، وأفكر فى باب الفاعل والمفعول أيام يَمْشى على استحيائه ، وأَخذ ما/ جاء به الشيخ ، [38a] وأُشتهرت القضيَّة . وبلغت السلطانَ مُظفَّر الدِّين صاحبَ إربل[3] ، فاُستدعى الشيخَ وقال : أَغفلناك ولم يُنبّهنا أحدٌ عليك لأنَّك محسود ، ومثلك لا يُنبّه عليه إلا نفسُه ، وقد جعلتُ عقاب ذلك الزَّذْل ، الذى لم يقابلك بما يجب ، عزلَه ، وولَّيتك الخطابة على مِنْبر هذا الجامع . فقال : أَرغب من إحسان السلطان ألّا يُكدّره بأن أكون سببًا لعزل شخص وقَطع رِزْقه ، وأنا ممن يَشتفى بالقول لا بالفعل . فالاُشتفاء بالأفعال من شِيم المُلوك . فقال له السلطان : أبيتَ إلّا أدبًا وظَرفًا . وجاء ذلك العاملُ فصار من خُدّامه ، والمُترفين بإنعامه .

(١) الكتاب ، هو كتاب سيبويه . وفرد باب ، أى الباب الأول منه ، وهو باب الفاعل الذى لم يتعد فعله إلى مفعول . وإليه يلمح ، وقد أشار إليه فى تعقيبه .
(٢) الأباب : التهيؤ . ولعله يريد به الاستعداد لاستقبال الموت .
(٣) هو مظفر الدين أبو سعيد كوكبورى بن على كوجك التركمانى . وكانت وفاته سنة ٦٠٣ هـ . (انظر شذرات الذهب) .

قال : ومما يجب أن يُحفظ من شعره قولُه :

[مخلع البسيط]

لا تَشْكُ فالنَّاس فى الرَّزايا ثلاثة ثُم لا مَزِيـــدُ
إمَّا صـــديقٌ يُفاد غَمًّا أو شامتٌ كاشحٌ حَسُود
أو غافلٌ عنـــك مُستريح إليه شَكْواك لا تُفيـــد
/ ومَنْ يُسلِّيـــك أو يُواسِى لم يُبْدِ شَخْصاً له الوُجُود [38 ظ]
إلّا أحاديثَ لَفَّقـــوها يُصْغِى لها الجاهلُ البَلِيد

وقولُه :

[كامل]

لا تَقْعُدَنَّ مع العِيَال ولا تَكُن كَلاًّ وسُدْ كُلاًّ وجِدَّ مُشمِّرَا
وجُبِ الفيافِى واشتهر تَنَل المُنَى لا يَقْطَعُ الهِندىُّ حتى يُشْهَرَا

وقوله :

[كامل]

أنظُر إلىّ بخِبْرةٍ واترُك كَلا مَ المُبغضين وكُلَّ شَخْصٍ يَحْسُدُ
فالشمسُ إنْ شَرُفَت وأشرق نورُها ما ضَرَّها ألّا يراها الأَرْمد

وكانت وفاته سنة ثلاث وستمائة[1] .

---

(١) وقد ترجم ابن الساعى للكفرعزى فقال : هو أبو محمد جعفر بن محمد ابن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الكفرعزى الإربلى» . وذكر أن وفاته كانت فى يوم الأربعاء رابع المحرم من سنة أربع وستمائة .

الترجمة الثالثة

[ابن دهن الحصى]

الأستاذ الأديب الحسن بن هبة الله بن دُهن الحَصَى الموصلىّ ، من أدباء الموصل المُتصدِّرين للإقراء . مَذكور فى التاريخ أنه مات فى سنة ثلاث وستمائة .

وقفتُ على ترجمته فى « تاريخ حلب » وفى « تاج المعاجم »[1] وفى « أختيارات الشرف »[2] فلخصت منها ما أوردتُه فى هذا المكان . [39ظ]

كان بالموصل يُقرئ العربيّة ويَمدح صاحبها ، فرُفع إليه أنه لما وصل صلاح الدين بن أيّوب إلى جهة المَوصل، ورام التغلُّب عليها ، أنفذ إليه قصيدةً يمدحه فيها ، ويحُضّه على ما تَقتضيه الهمّة العالية فى المُلك . فتغيّر له[3]، وخاف ابنُ دُهْن الحصى ، فرحل إلى حلب وانقطع إلى صلاح الدين فأحسن إليه ، ورتّبه للإقراء فى جامع المدينة . فلم يزل على تلك الحال والراتبُ جارٍ عليه إلى أن مات .

فأحسنُ ما أنشد له الشَّرفُ يَعقوب قولُه :

---

(١) يريد: تاج المعاجم للشهاب القوصى . وقد تقدم .

(٢) يريد: اختيارات الشرف يعقوب الإربلى . وقد تقدم .

(٣) الضمير لصاحب الموصل .

[سريع]

يَبتهج النـــاسُ بأعيادهم ... مِن أجل ذَبْحٍ أو لإفطارِ
وإنما عُظْم سُرورى به ... لِلَثْم من أهوَى بلا عار
أرقُبهـــا حولًا إلى قابلٍ ... لأنهـــا غاية أوْطارى

وأحسنُ ما أنشد له الشهابُ القُوصىّ :

[طويل]

تُطالبنى عَينى فلم تَعْدُ بُعْدَكم ... وأنتم على حُكْم النَّوى فى سَوادِها
وتُطْمِعنى فى طَيْفكم بِرُقادها ... فأَزْجُرها كَحْلاً بِميلِ[1] سُهادِها [40 a]
ولى مُهْجةً لم تَبْقَ فيها بقيةٌ ... سِوى ماسكنتُم مِن صَميم فُؤادها

وأحسنُ ما أنشد له الصاحبُ ابنُ العديم ، وهو ممّا رواه عنه :

[طويل]

وما أنا فى الشَّكْوى من البَيْن عاجزٌ
ولا ضاق فى حَمْل الرَّزايا بكم صَدْرِى
ولا خانَنى حُسن اُصطبـــارى وإنما
رُمِيتُ من البَلْوَى بأكثرَ مِن صَبرِى

وقولُه :

[مديد]

مَنْ لصبٍّ فوق فَرْشِ ضَنًى ... أبدًا فبُرْؤه يَنْتكسْ
جَفْنُه بالدَّمْـــع مُنْطَلِقٌ ... وكَرَاه عَنْهُ مُحْتَبس
جَهِـــل العُذَّالُ مَوْضِعَه ... فَهَداهُم نَحْـــوه النَّفَس

(١) الميل : ما يكتحل به .

الترجمة الرابعة

[الماكسينى]

الأستاذ المُتفنِّن أبو الحَرَم مكّى بن زيّان الماكسينى [١] ، من ماكسين، قاعدة «الخابور» ، من أعمال سِنْجار. ذكر المؤرِّخون أنه كان ضَريرًا . اُشتغل بفُنون العلوم / ورحل فى طلبها ، فقرأ مدةً ببغداد [40 b] وبالموصل ، ورحل إلى الشام وغيرها . واشتغل بكثير من المعارف ، واُستقر بالموصل مُقرئًا للعربية وغيرها ، إلى أن مات بها فى شوال سنة ثلاث وستمائة .

وقفتُ على ترجمته فى « تاريخ اُبن الأثير [٢] » و « تاريخ اُبن الساعى [٣] » و « تاريخ إربل [٤] » وتلخيصها :

أن شعره كان دون عُلومه. وكان عمَاه من جُدرىّ أصابه فى صباه [٥].

وأحسن ما أنشدوه له قوله :

---

(١) التكملة من معجم الأدباء، ونكت الهميان ، وبغية الوعاة .

(٢) هو الكامل فى التاريخ لأبن الأثير أبى الحسن على بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى ، الملقب بعز الدين ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . بدأه مؤلفه بأول الزمان وانتهى فيه إلى آخر سنة ٦٢٨ هـ . منه طبعات مختلفة . إحداها وهى أحسنها ، التى طبعت بمدينة ليدن (١٨٥١ — ١٨٧١) فى اثنى عشر مجلداً ، منها مجلدان للفهارس .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٣ ص ٥) من هذا الكتاب .

(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٩) من هذا الكتاب .

(٥) العبارة فى « النكت » : « أنه أضر بأخرة » .

[وافر]

إذا أحتاج النَّوالُ إلى شَفِيع ... فلا تَقْبلْه وأنْجُ[1] قَرِيرَ عَيْنِ
إذا عيف النَّوالُ بفَرْد[2] مَنٍّ ... فأَولَى أَنْ يُعَـــافَ بِمِنَّتَيْنِ

وقولُه :

[كامل]

لك منزلٌ فى القَلْب غيرُ[3] مُذَالِ ... كمَرَاتِعِ الآرام والآجالِ
لم يَعْفُه العَهْدُ القَدِيمُ وكم عَفَت[4] ... دارٌ بمَرِّ جَنائبٍ وشِمَال

وقولُه :

[وافر]

إذا ما كُنتَ لا تَرْعَى حُقوقاً ... لإخوانٍ هُمُ رَفعوا مَنَـارَكْ
وتُلْزِم كُلَّ حينٍ أن تُراعَى ... ولا يَنْسى أَخو وُدٍّ مَزَارَكْ [46b]
وتَقْطع دَهْرَنا تِيهاً وعُجْباً ... وتأبَى دائماً إلَّا أختيـــارك
فزادَكَ — ما بقيتَ — اللهُ بُعْدًا ... ولا أَدْنَى على حالٍ دِيارَكْ

وقولُه :

[طويل]

على البابِ عبدٌ يطلب الإذنَ صَدَّه ... تأدُّبه[5] لا أَنَّ نُعْماك تُحْجَبُ
فإن كان إذْنٌ فهو كالخَيْر داخِلٌ ... عَليك وإلاَّ فهو كالشَّر يَذْهب

(١) الرواية فى معجم الأدباء ، والنكت : « تضح » .
(٢) فى المعجم ، والنكت : « لفرد » .
(٣) المذال : المهان .
(٤) الفعل « عفا » يستعمل لازماً ومتعدياً .
(٥) الرواية فى معجم الأدباء : « قاصداً ، به أدباً » .

ووَلِعْتُ بحفظ هذين البيتين، واُحتجتُ مرةً إلى طَلب الإذن على فخر الدين ابن الشيخ[1] ، نائب السَّلطنة بالديار المصرية ، فكتبتُ إليه :

[مخلع البسيط]

ماذا تَرى فى دُخول مَنْ لَا يَرُوم شيئاً سِوَى الدُّخُولِ
تَحْصِيل جاهٍ وكَفُّ باغٍ والأمر لله فى القَبُولِ

فخرج فى الحال حاجبهُ وقابل بما يليق بمكارمه ، وجَعل يَستحسن « والأمر لله فى القبول » ويكرّرها .

(١) هو الأمير فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين محمد الزاهد العابد . وكان مقتل فخر الدين سنة ٦٥٧ هـ . ووفاة أبيه سنة ٦٥٢ هـ . (انظر النجوم الزاهرة) .

الترجمة الخامسة

[ابن نوفل]

[47] الأديب الحسيب أبو المحاسن / الحسنُ بن نَوفل الحلبيّ ، من بيت مَشْهور فى حلب إلى الآن . ذكره ابنُ العديم فى تاريخها ، وأخبر أنه ممن يُنسب إلى الكتابة والرياسة، وأنه مات ببلده سنة ثلاث وستمائة. وأحسنُ ما أنشده من شعر قوله :

[كامل]

مَن ساءه أن بات فى أَسْر الهَوى ... قَلِقَ الجوانح دامِيَ الآماقِ
فلقد غدوتُ وقد سَبَتْنى أعْيُنُ الـ ... ـأتْراك مَشْدوداً أَشدَّ وَثاق
ها مُهْجتى فَلْتفعل الأحداقُ ما ... شاءتْ بمَحْمولٍ على الأحْداق

وتلقّيت من بعض أقارب هذا المذكور أنه كان جُنديًّا مُخالطاً للمُلوك ، وأنه قال فى بعض الوُلاة :

[منسرح]

يا مُظْهِرَ العَقْل فى وِلايتـه ... كيف وما زِلْتَ ظاهرَ النَّزَقِ
لا تَسْتقرُّ الزمانَ أجمَعَـه ... مِن عُظْم ما قد حَمَلْت من قَلَق
مُقدَّماً من يُرَى تأخُّره ... مُؤَخَّراً مَن يفُوز بالسَّبَق
ووَضْعُك الشَّىءَ غَيْرَ مَوضعِه ... يَشْهد عنـد الأنام بالحُمُق
مع الذى تَقْتَضى الفِراسةُ مِن ... تَصْغير رأسٍ والطُّول فى العُنُق

/ وأنشدنى له بعضُ أُدباءِ حلب قصيدةً فى خِتان ، أُخترتُ [76b
منها قولَه :

[وافر]

خِتانٌ فيه بالكرم اعتبارُ وبالشَّمع المُنير وباليَراعِ
جَرى دمُه لنا شَفَقاً مُذاباً لدى بَدْرٍ تَلفَّع بالشُّعاع
أَتَى ظَبْياً وأَبدى صَبْر لَيْثٍ بضَنْكٍ فيه ذُمَّ أخُو الدِّفاع

وكتب إلى وزير حَلب ابن المَوْصول المشهور بالجود :

[بسيط]

يا مَنْ أَمالَ الورى طُرّاً إلى حَلَبٍ بالجود والخُلق المألوف والأدَبِ
لا زِلْتَ فى نِعْمةٍ يَقْضِى الزمانُ بها أصمَّ أعمَى بلا هَمٍّ ولا نَصَبِ
ولا شكوتُ بما أَشْكو إليك به الفَقْر والشَّيْب والتَّزويج والجَرَبِ

وعرَّفه أنه تزوّج امرأة اكتأب بها وهو على هذه الحال ، وأنه لا يَمنعه من طلاقها الذى لا يُريحه غيرُه إلاَّ عدم الصَّداق. فوجّه إليه بصداق المرأة وما يشترى به جارية، وما يُنفقه عليها ، ويُعانى به الشَّيب بالخِضاب ، والجربَ بالأدوية والأغذية ، فقال فيه :

[مديد]

وَصل الموصولُ كُلَّ علا بكَ يا مَنْ لا نَظيرَ لَهُ
/ لك - دون المُبتلَى حَسَداً - آخِرٌ قد زان أوَّلَه [76a

وسمـــاحٌ ناهضٌ وله خُلُق فى النّاس أسفلُه
وكَفاه أن يَذُوب جَوًى كُلَّما أصبحتَ تُخمِلُه
ويَذُوق الموتَ من كَمَدٍ كلّما حازيتَ منزلَه
والوَرى داعٍ ومُلْتفت وسَؤول مَدّ أَنْمُلَه

الترجمة السادسة

[عبد المنعم]

الفقيه أبو الفضل عبد المُنعم بن عبد العزيز الإسكندرانى[1] .

وقفت على ترجمته فى « تاريخ ابن الأثير » و« تاريخ ابن الساعى » ووجدت الأسعد بن يَعْرب شيخ علماء الإسكندرية مليئاً بأخباره ، فلخَّصتُ من جميع ذلك أنه تفقه بالإسكندرية على مَذهب مالك ، ورَحل إلى بغداد فتأدّب ولَقى الفُضلاء . ولم يزل يأخُذ نفسَه بقول الشعر إلى أن صدر له مثلُ قولِه :

[بسيط]

يا ساحرَ الطَّرف لَيْلِى ما له سَحَرُ ... وقد أَضَرَّ بجَفْنى بعدك السَّهرُ

ولستُ أدرى وقد صَوَّرتُ شَخْصك فى[2] قَلْبِى المَشُوقِ أَشمسٌ أنت أم قَمَر [48b]

ما صَوَّر الله هذا الحُسن فى بَشَر ... وكان يُمكن ألّا تُعْبَدَ الصُّور

أنت الذى نَعِمتْ عَيْنى برُؤيته ... لأنها شَقيت من بَعْدها الفِكَر

أموتُ وجدًا ومالى منك مَرْحمةٌ ... وكم حَذِرْتُ ولم يَنْفَعْنِىَ الحَذَر

أَستغفر اللهَ لا والله ما خُلِقَتْ ... عَيناك إلّا لكى يَفْنى بها البَشَر

وقوله :

[مجزوء الرمل]

أيّهـــذا المُتجنِّى ... ما الذى رابَك منِّى

---

(١) وزاد ابن الأثير وابن الساعى « المعروف بابن النطرونى » .

(٢) فى تاريخ ابن الساعى : « خيلت » . وفى الفوات : « مثلت » .

كُلَّ يومٍ مِن جَفائى لك فَنٌّ بعـد فَنّ
بالّذى لم يُفْنِنى عَنْـك وقد أَغْناك عنّى
لا تُنَغِّصْ عِيشةً أَنْـت لها أَقْصى التَّمنّى
وافعل الخَيْر إذا اسطعْـتَ ولكنْ دون مَنّ
فأحقُّ النّاس بالإحْـسان مَن فاز بحُسْن

وقوله فى الإخوانيّات : (بسيط)

يأيُّها المُتَمنِّى ما عـداه أَفقْ مِن سَكْرةٍ لستَ منها صاحِىَ الفِكَرِ
وخُذْ مِن الدَّهر ما أَعطاك مُقْتنعاً بالصَّفْو طَوْرًا وممْزوجًا مع الكَدَرِ
مُنَغَّصُ العَيْش من لا يَرْتضى أبدًا حالًا ولم يُلْفَ إلّا طامِحَ البَصر
لو أنَّه صار حيثُ المجدُ منزلُه لظلَّ ذا طَمع فى هالَة القمَر
فلا صَنِيعَةَ إلّا وهى ضائمةٌ فيـه وليس على وَهْنٍ بمُصْطَبر
وكيف تَلْقاه ذا شُكْرٍ لصاحبه مَن ليس يَبرْح غَضبانًا على القَدَر

ووُجّه من بغداد رسولًا إلى يحيى الميُورقى[1] بإفريقية، فرجع بعشرة آلاف دينار، ففرّقها فى أهل وُدّه ومعارفه، ومات فقيرًا بمارستان بغداد فى جُمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة .

(١) هو يحيى بن غانية الميورقى الثائر ، استقل بإفريقية فترة . قال عبد الواحد المراكشى فى كتابه المعجب : « ولما كانت سنة ٦٠١ هـ تجهز أمير المؤمنين أبو عبد الله فى جيوش عظيمة وقصد بلاد إفريقية ، وقد كان الميورقى يحيى ابن غانية قد استولى عليها ، هيأ له ذلك غفلة الموحدين عنه واشتغال أمير المؤمنين أبى يوسف بغزو الروم بالأندلس » .

الترجمة السابعة

[السلمى]

القاضى الأديب أبو حَفص عُمر بن عبد الله بن [محمد بن عبد الله بن][1] عمر السُّلَمى القاضىّ .

وقفت على ترجمته فى «تاريخ ابن عُمر[2]» و«معجم الشَّقُنْدِىّ[3]» و« معجم والدى » و« خُلاصة الإبريز لمحمد بن عبد العزيز[4]» فلخّصت من ذلك : أنه كان فقيهاً علّامة ، وفى النَّظم والأدب أندرَ علَامة . جَل بين قومه بمدينة فاس / مقدارُه ، وقُضيت بها فى الجاه والمال أوطاره ؛ [49 b] إلى أن كان هنالك من أهل الفُتيا ، ثم صار من جُلساء أصحاب الأمر وأرباب العُليا ؛ ثم ترقّى إلى الخطابة والقضاء ، وصار ذا إبرام وإمضاء . ومن المشهور عنه فى قَضائه العدلُ فى الأحكام ، وقلّةُ النَّزق عند اختلاف الخصام . وكان فى غاية من الظَّرف ، إذا أقبل شُمَّت رائحةُ الطِّيب منه

(١) الإضافة من أزهار الرياض (٢ : ٣٦١) . وانظر التكملة (ت ١٨٣١) وصلة الصلة (ت ١٣٠) وجذوة الاقتباس (ص ٢٨٦ — ٢٨٨) وزاد المسافر (ص ١٠١ — ١٠٢) ونفح الطيب (٤ : ٣٢٥) — إلا أن المقرى نسبه خطأً إلى قرطبة — ورحلة العبدرى (مخطوطة الأسكوريال ص ١٤) . ورفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة — وهو شرح لقاضى غرناطة أبى القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسنى البتى على مقصورة أبى الحسن حازم بن محمد بن حسن بن حازم التى عارض بها مقصورة ابن دريد (١ : ١٠٠ — ١٠١) .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٣) من هذا الكتاب .

(٣) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٠) من هذا الكتاب .

(٤) ذكر حاجى خليفة كتاباً بهذا الاسم فقال : « خلاصة الإبريز ، تذكرة للملك العزيز ، فى العقائد » . ونسبه لسيف الدين أبى الحسن على الآمدى المتوفى سنة (٦٣١ هـ) .

على بُعد ، وإذا غُسلت ثيابه لا يكاد يُفارقها. وكان منزله كأنه الجنّة، حتى وَجد فيه أعداؤه مَطمعاً ، ورفعوا للمنصور[١] أنه غير حافظ للناموس الشرعى بكثرة تنزله واشتهار مُقطعاته وأنهماكه فى العشق . ووافق ذلك أن رَمى ابنُ أخٍ له يَده فى امرأة وغَصَبها على الدُّخول لمنزله، وشَهد بذلك عند أبى موسى بن رُمّانة ، حافظِ فاس ، جماعةٌ . فأمر بإحضار المذكور بعد صلاة الصُّبح وضَرب عُنقه . وطلع القاضى ليتكلّم فيه [504] / وقد بلغه أنه متعفّف ، فقيل له فى الطريق : إنه قد فات الأمر . فرجع . وكتب فيه الحافظ وأعلم أن فقهاء فاس أجمعوا على تأخيره عن الإمامة والخطابة وولّوا غيرَه ، حتى يصل الإذن العالى إمّا باستقرار الثابت أو بتَعويضه . فوصل الأمرُ بوصول أبى حَفص إلى الحضرة . فما جُهل مكانه ، ولا صَغُر شانه .

وولّاه المنصور قضاءَ إشبيلية . فشُكِرت فيها سيرتُه ، وحُمدت سَريرته . ومات بها وهو قاض فى سنة ثلاثٍ وستمائة[٢] .

---

(١) مر التعريف به فى الحاشية (رقم ١ ص٣٤) من هذا الكتاب .

(٢) فى وفاته خلاف . قال المقرى فى أزهار الرياض نقلاً عن ابن فرقد إن وفاته كانت سنة اثنتين وستمائة بإشبيلية وهو يتولى قضاءها . وقال ابن الزبير فى صلة الصلة : « ثم ولى قضاء إشبيلية ثم أخر وبقى بها ثم أعيد للخطة واستمر إلى أن مات سنة ٦٠٤ هـ . ذكره ابن خليل وروى عنه وصحبه. وروى عنه أبو جعفر بن فرقد وأبو مروان الباجى وغيرهم . وذكره الشيخ فى الذيل ووهم فى وفاته » .

وله موشّحات مشهورة يُغنَّى بها فى الأقطار ، منها :

حُسَّانَةٌ[1] رخيمهْ عانقتُ منها البانَه

والنَّقَى الرَّجْـراج وَاشَوْق لحُسَّـانَه

وممّا هو داخل فى « كنوز المعانى » قولُه :

[وافر]

هُمُ نَظروا لواحظها فهامُوا وتَشرب عَقلَ شاربِها المُدامُ

يَخاف الناسُ مُقلتها سِوَاها أيذعَر قَلْبَ حاملِه الحُسَام

سَما طَرْفى إليها وهْو بالكِ وتَحْتَ الشَّمس يَنْسكب الغَمام

وأذكر قَدَّها فأَنُوح[2] وَجْدًا على الأَغصان تَنْتدب الحَمَام

/وأَعقب بَيْنُها فى الصَّدْر غَمًّا إذا غَرُبت[3] ذُكاءُ أَتَى الظلام [50 b]

وقد اُشتهر فى الغرب والشرق قولُه :

[وافر]

لها رِدْفٌ تَعلّق من لَطِيفٍ وذاكَ الرِّدْفُ لِى ولها ظَلُومُ

يُعذِّبنى إذا فكَّرتُ فيه ويُتْعِبها إذا رامتْ تَقُوم

ومن هذه القصيدة :

[وافر]

أُعيذُكِ يا سُلَيمى من سُلَيْمٍ قَتَلْتِ فَتاهُمُ وهو الزَّعِيمُ

---

(١) الحسانة : الحسنة . وظاهر أنه يريد بها مسماة بهذا الوصف .

(٢) فى أزهار الرياض (٢ : ٣٦٦) : « شوقاً » مكان « وجدا » .

(٣) فى أزهار الرياض : « اغتربت » . وذكاء : اسم الشمس ، معرفة لا ينصرف ، ولا تدخلها الألف واللام .

أَمَالَكِ طالبٌ بِتِرَاتِ قَتْلَى إذا قَتَـــلَ الغَرامُ فلا غَرِيم

وحضر يوماً معه أبو بكر بن مَيْمون وأبو العبّاس الكُورانى[1] . فقال الكُورانى :

[كامل]

ما زِلْتُ أَضْرب بالقَنا المُنْـآدِ حَلَق الدُّروع وأَنْفُس الحُسَّادِ

ثم قال ابنُ مَيْمون :

[كامل]

وحَسِبْتُ أَنِّى لا أُرَاعُ لحادثٍ حتى بُلِيتُ بسَطْوةِ الأَحْقادِ

فقال أبو حَفْص :

[كامل]

مَنْ لم يَبِتْ والبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَه لم يَدْرِ كيف تَفَتُّتِ الأَكْبادِ

ولما قال فيه أبو العبّاس الكورانى :

[رمل]

[٥١ a] / نَبغتْ عَمْرةُ بنتُ أُبن عُمر هذه فاعتبرُوا[2] إحدَى العِبَرْ

قُلْ لهـــا عنّى إذا ما جِئْتَهَا قَوْلةً تَتْرُكُ صَدْعًا فى[3] الحَجر

هَبْكِ كالخَنْساء فى أَشعارها أو كَلَيْلى[4] هل تُجارِين الذَّكَر

(١) ستأتى ترجمته (ص ٩٨) من هذا الكتاب .

(٢) فى أزهار الرياض (٢ : ٣٦٤) : « فلتعجبوا أم العبر » .

(٣) فى أزهار الرياض : « لاقيتها » قولة تترك فى الصخر أثر » .

(٤) الخنساء : هى تماضر بنت عمرو الشاعرة ، ولها ديوان شعر . توفيت سنة ٢٤ هـ . وليلى ، هى بنت عبد الله الأخيلية ، شاعرة . ولها مع توبة الحميرى أخبار . تلى فى الطبقة الخنساء . وكانت وفاتها سنة ٧٥ هـ .

قال فى جوابه :

[متقارب]

نَهانِيَ حِلْمى فما[1] أَظْلِمُ وعَزَّ مَكانى فما[1] أُظْلَمُ
ولا بُدَّ مِن حاسدٍ قَلْبُه بنُور مآثرنا[2] مُظْلِم
بَغانا الحسودُ ولسنا كما يقول ولكن كما يَعْلَم

وخرج فى صباه مع شيخه أبى ذَرّ النحوى[3] فأثَّرت الشمسُ فى وجهه ، وكان وسيماً ، فقال الأستاذ[4] :

[مديد]

وسَمَتْكَ الشَّمسُ يا عُمر وَسْمَةً بالحُسن تُعْتَبرُ

فقال أبو حَفص :

[مديد]

علمتْ قَدْر الَّذى صَنَعتْ فأَنْثنتْ صَفراءَ تَعْتَذِرُ

ولما أَنشد أبا يعقوب بن عبد المؤمن قصيدتَه التى أولُها :

---

(١) فى أزهار الرياض : « فلا » .

(٢) زاد المقرى فى الأزهار بعد هذا البيت :

رحمت حسودى على أنه يقاسى العذاب وما يرحم

(٣) هو مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الأندلسى الجيانى أبو ذر ابن أبى الركب النحوى. وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ . (انظر التكملة ت ١٠٩٨ = وبغية الوعاة للسيوطى) .

(٤) روى المقرى الخبر فى النفح (٥ : ٢٥٩) فقال : « وخرج أبو بكر ابن طاهر وأبو ذر الخشنى والقاضى أبو حفص بن عمر ، وهو إذ ذاك وسيم . فأثرت الشمس فى وجهه ، فقال أبو ذر :

وسمتك الشمس يا قمر سمة فى القلب تنتشر

فقال الآخر :

علمت قدر الذى صنعت فأتت صفراء تعتذر

[بسيط]

الله حَسْبُك والتِّسْعُ الحَوَاسِمُ تَحْوِى بها سَبْعةٌ هُنَّ[1] الأَقَالِيمُ

وأنتهى منها إلى قوله :

[٥٤ ظ] / يا سامعين أماديحَ الإمامِ ألاَ قُومُوا فاجْثُوا على رُكَبِ الإعظامِ أو قُومُوا

قام جميعُ مَن فى المجلس .

وله من قصيدة يمدح بها ابنه المنصور ويُهنئه موقعة الأَرَكِ[2] بالأندلس :

[وافر]

أطَاعتْك الذوابلُ والشِّفَارُ ولَبَّى أَمرَك الفَلَك المُدَارُ

يبُشْرى مثل ما ابتهجت رِياضٌ وسَعْدٍ مِثْل ما وضح النَّهار

وفَتْح مثل ما انفتحت كِمَامٌ وشُقّت عن صُدورهَا[3] صِدَار

وآمال كما مُدَّت ظِلال وأفعال كما مُدَّت بِحَـار

---

(١) فى الأزهار : « تغزو بها سبعة وهى . . . »

(٢) الأرك : حصن منيع بمقربة من قلعة رباح أول حصون أدفونش بالأندلس . وهناك كانت وقعة الأرك على صاحب قشتالة وجموع النصارى على يد المنصور يعقوب بن يوسف سنة ٥٩١ هـ . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٣) الصدار : القميص الصغير ، والدرع القصيرة .

وأعـــلامٌ بنَصْرك خافقاتٌ لها فى كُل جوّ مُسْتطار
لِيَهْنِئ أرضَ أندلس بُدورٌ مِن السَّراء ليس لها سِرَار

ومنها فى وَصف الروم :

وكم رامُوا الفِرارَ من الرَّزَايا ولـكنْ أين من أَجَلٍ فِرارُ
تُدار عليهمُ حُمْر المَنايا بكأسٍ فيـه عَقْر[1] لا عُقَار
إذا ما الليثُ أَصْبح فى مَحل فمـــا لطريدةٍ فيـــه قَرَار

(١) العقر : النحر . يريد : الموت قتلاً .

الترجمة الثامنة

[الكورائى]

[52 a] الأديب الجليس أبو العبّاس / أحمد بن عبد السّلام الكُورائِىّ[1] .

وقفتُ على ترجمته فى « تاريخ ابن عمر » و « تاريخ ابن نَجيل »[2] و « خُلاصة الإبريز لابن عبد العزيز » و « معجم والدى » و « مُعْجم الشَّقُنْدى». وتلخيص ذلك أنه من تادَلا[3]، عمل مشهور بين مَرَّاكُش وفاس . وقومه « كُورَاية » برابر يَعيبهم أهلُ المغرب ويزعمون أنهم يهود . وقداستطرد لهجاء بنى المَلْجوم أعيان فاس وعِلْيتهم[4] فى قوله :

---

(١) فى أزهار الرياض (٢ : ٣٦٤) وزاد المسافر (٧—٩) ونفح الطيب (٥ : ٢٢٨) ووفيات الأعيان (٢ : ٤٩٤) والمقتضب من تحفة القادم : «الجراوى». وهو على هذا منسوب إلى « جراوة » بالضم : موضع بإفريقية بين قسنطينية وقلعة بنى حماد . ولكن المؤلف هنا نسبه كما سيأتى بعد قليل إلى قبيلة « كوراية » من البربر .

وقد ذكر الأستاذ محمد المنونى فى كتابه « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين» أن ابن عذارى فى كتابه البيان المعرب أورد للجراوى شيئاً من شعره . وذكر أن هذه المخطوطة فريدة يحتفظ بها الأستاذ كولان بالرباط .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن نجيل . وله كتاب فى تاريخ الدولتين : الموحدية والمفضلية . (انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى) .

وانظر زيادة فى التعريف به (ص ١٥٨) .

(٣) الذى فى معجم البلدان « تادلة » وعرفها ياقوت بأنها من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس .

(٤) العبارة فى أزهار الرياض : « وكان أبو العباس الجراوى المذكور هجاء ، حاضر البادرة ، سريع الجواب . ومن أغرب ما صدر عنه فى ذلك أنه هجا قبيلة بنى غفجوم استطراداً بهجو أهل فاس وقاضيهم ابن الملجوم ، ولكبير البيت الشهير الأصالة » . ثم أورد له أبياتاً ستة .

[كامل]

يابْنَ السَّبيل إذا مَررت[١] بتادَلا ... لا تَنزلنَّ على بنى غُفْجُومِ
قومٌ طَوَوْا طُنُب[٢] السَّماحةِ بينهم ... لكنّهمْ نَشَرُوا لِواء اللُّوم
يا ليتَنِي من غيرهم ولو أنّنى ... من أهل[٣] فاسٍ من بَنى المَلْجُوم

وطَرّاه[٤] شاعر ببراءة فيها أبيات ، فكتب له عليها :

[مخلع البسيط]

يا مَن يُطَرِّى لمن يُطرَّى ... أَسْرَفْت والله فى التعدِّى
أنا أُطرِّى الأنامَ طُرًّا ... وأَنت تَبغى النَّوالَ عِنْدى

فلما وقف الشاعر على ذلك زاد بعده :

/ نُسِبْتُ للمُسلمين ظُلْمًا ... وكان شيخَ اليهود جَدِّى [52b]

وهو من شُيوخ أدباء المَغرب . رُزق طولَ العمر والجاه ومُجالسة الخلفاء . فأول من جالسه منهم عبد المؤمن[٥] ، ثم جالس أبا يعقوب[٦] ،

---

(١) فى الأزهار : « نزلت » . وبنو غفجوم : قبيلته .

(٢) فى الأزهار : « ذكر » .

(٣) فى الأزهار : « من أرض » .

(٤) طرى وأطرى ، بمعنى . وفى زاد المسافر (ص ٨) : « واستجداه شاعر بقصيدة فوقع فى أسفلها » ثم ذكر البيتين ، إلا أنه أثبت « يجدى » و « أجدى » مكان « يطرى » و « أطرى » .

(٥) هو عبد المؤمن بن على الكومى — نسبة إلى كومية ، من قبائل البربر — مؤسس الدولة المؤمنية « الموحدين » فى المغرب . ولد سنة ٤٨٧ هـ . وكانت وفاته سنة ٥٥٨ هـ .

(٦) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، من ملوك الموحدين . ولى بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٨ هـ . وكانت وفاته سنة ٥٨٠ هـ .

ثم جالس المنصور[١] ، وصنّف له كتاب « صفوة الأدب » المشهور بـ « حماسة الكورائى[٢] » .

ولما أُحتيج لرجل عامل عارف يجالس ابن مُنْقذ[٣] ، رسول صلاح الدين بن أيوب الواصل من المشرق ، وقع الاختيار عليه ، فما أُتيح لأحد مجالسته سواه . ثم جالس الناصر[٤] وحضر معه على فتح المهدية[٥] ، وأنصرف فى خدمته إلى الحضرة ، ومرض الناصر فهنأه بقصيدة أولها :

[خفيف]

أَطلع الدهرُ منك بدرًا مُنيرًا ملأَ السَّبعةَ الأَقاليمَ نُورًا

ثم مات سنة ثلاث وستمائة[٦] .

وكان يقول فى آخر أيامه :

تَعسًا لطول العمر الذى أخّرنى لمعاشرة هؤلاء الأَنذال ! وعهدى بالخليفة عبد المؤمن يقول لى فى جبل الفَتْح : يا أبا العباس ، إنّا نُباهى بك أهلَ الأندلس .

---

(١) انظر الحاشية رقم (١ ص ٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) قال ابن خاكان (٢ : ٤٩٤) : « صفوة الأدب وديوان العرب لأبى العباس الجراوى . وهو مجموع يحتوى على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبى تمام الطائى . وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق » .

(٣) هو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٤ . (انظر وفيات الأعيان) .

(٤) انظر الحاشية رقم (١ ص ٣٣) من هذا الكتاب .

(٥) المهدية : مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان مرحلتان . (انظر معجم البلدان) .

(٦) هذا رأى المؤلف . وذهب غيره ممن ذكرناهم قبل أن وفاته كانت سنة ٦٠٩ هـ .

وقال فى ابن/ خِيَار الجيّانى[١] الذى سَعى بابن عَطِيّة[٢] وزير [53a] عبد المؤمن وبلغ عنده الغاية فى الجاه بعد ذلك :

[متقارب]

أيابنِ خِيارٍ بَلَغْتَ المَدَى ... وقد يُكْسَفُ البدرُ عند التَّمامِ
فأين الوزيرُ أبو جَعْفر ... وأين المُقَرَّبُ عبدُ السَّلام

وكان عبد السلام الكُومى[٣] قد ولى الوزارة بعد أبى جعفر ، فلم تمرّ به الأيام حتى نُكب وخُنق . فما كان أقصر أمره .

ولما عَظُم أبو زيد بن يُوجَان[٤] فى وزارته أغرى المَنصور بالكورانى وقال له : إنه من أهل الشعر والهَزل ، وما يليق بمجالس الخلافة إلا أهلُ العلم والجِدّ ، فهُجر . فلما نُكب ابن يُوجَان هجاه فأكثر . ومما ليس بمُقذع من ذلك ، قولُه :

[طويل]

لقد كنتَ تَحكى فى التجهُّم مالكاً ... وكانت بك الأحوالُ تَحكى جَهَنَّما
فما أعظم البُشْرى بعَودك خاملاً ... وغيرك قد أَضحى النَّبيه المُقدَّما

---

(١) لم يذكره المراكشى بين من وزروا لعبد المؤمن أو كتبوا له .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عطية . وزر لعبد المؤمن إلى أن قتله فى شهور سنة ٥٥٣ هـ . (انظر المعجب ص ١٩٨) .

(٣) هو عبد السلام بن محمد الكومى ، وكان يدعى المقرب ، لشدة تقريب عبد المؤمن إياه . وزر لعبد المؤمن بعد مقتل أبى جعفر . واستمرت وزارته إلى أن أرسل إليه عبد المؤمن من قتله خنقاً سنة ٥٥٧ هـ . (انظر المعجب ص ١٩٨) ونفح الطيب (٧ : ١١٠ — ١١١) .

(٤) هو أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان الهنتانى . وزر للمنصور وصدراً من إمارة ابنه أبى عبد الله ، ثم عزل عن الوزارة .

وهو أديب المغرب على الإطلاق فى زمانه ، مع ما له من اعتداد
53] بالنفس والاقتدار فى التقصيد . ومن عنوان/ ذلك قولُه من قصيدة
يمدح بها المنصور ، ويذكر فتْح قَفْصَة[1] وانهزام المَيُورقى[2] :

[بسيط]

عدوّكم بخُطوب الدَّهْر مَقْصودُ ... وأمركمْ باتّصال النصر مَوْعودُ
ومُلْككم مستمرٌّ ما له أمدٌ ... مؤقَّتٌ دُون يوم الحَشْر مَحْدود
ألقى على كُلِّ جَبّار كَلاكَله ... كأنه وهو فى الأحياء مَفْقود
وهَبْه عاش أليس الموتُ أرْحَمَ مِن ... عَيْشٍ يُخالطه هَمٌّ وتَنْكيد
أنْحَى الزمانُ على الأغْرار واجتهدتْ ... فى قَطْع دابرِهم أحداثُه السُّود
ونازعتْهم سيوفُ الهِنْد أنفسَهم ... فلم يُفِدْهم عن الهَيجاء تَغْريد
فهُمْ على التُّرب صَرْعَى مِثْلَه عددًا ... إن كان يُقْضَى بأنَّ التُّربَ مَعْدود
إذا حَمَى الأسدُ الغَضْبانُ رايةً ... لم يُفترس ثَعلبٌ فيها ولا سِيد

وختَمها بقوله :

رِضاكُمُ الدِّينُ والدُّنيا وعدْلكمُ ... ظِلٌّ ظَليلٌ على الإسلام مَمْدود

---

(١) قفصة : بلدة صغيرة فى طرف إفريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بالجريد . بينها وبين القيروان ثلاثة أيام . (انظر معجم البلدان) .

(٢) يريد: على بن إسحاق الميورقى ، وكان عرب بنى هلال ومن انضم إليهم قد اجتمعوا على خلع طاعة الموحدين والانضواء إلى على بن إسحاق ، ولقبوه أمير المسلمين . ودخل على قفصة ودعا للعباسيين. فلما بلغ النبأ أبا يوسف أمير الموحدين سير إليهم جيشاً سنة ٥٨٣ هـ . وكانت الدائرة فيه على الملثمين. (انظر المعجب ٢٧٤) .

دُمْتُم حياةَ بنى الدُّنيا ودام لكم نَصْرٌ وفَتح وتَمْكين وتأْييد

وله من قصيدة : [طويل]

عَصَوْا دَعوةَ المَهدىّ وهى سَفينةٌ فأغرقهم طُغيانهم وهو طُوفانُ

ومن غُر قصائده قصيدتُه فى « رياح »[1] يستميلهم إلى خدمةِ الأمير : [54a]

[طويل]

أَحاطت بغاياتِ العُلَا والمَفَاخِرِ على قَدمِ الدُّنيا هلالُ بن عامرِ

وزانُوا سماءَ المَجد عَوْدًا وبَدْأَةً بسُمْرِ القَنَا والمُرْهَفات البَواتِرِ

هم المُضريّون الذين سُيوفُهم صواعقُ بأسٍ تَنْتَحى كُلَّ كافر

أوائلُهم فى الجُود والبأس غايةٌ وكم تركوا من غايةٍ للأَواخر

وكم فيهمُ من مثل كَعْب وهاشمٍ وكم لهمُ من مثل عَمْرٍو وعامر

وكم قد أقامُوا من عُروش مَواثلٍ وكم قد أَقالوا من جُدودٍ عَواثر

ومن محاسن صنعته قولُه: [بسيط]

جادُوا وصالُوا وصادوا واحتَبَوْا فهمُ مُزْن وأُسْد وأَصقار وأَجْبالُ

إن سابقوا سَبقوا أوحاربوا غَلَبوا أو يَمَّمُوا وصلوا أو أَمَّلوا نالُوا

وقولُه : [بسيط]

غُزُوا فما أُمتَنعوا صالوا فما انْتفَعُوا كرُّوا فما دَفَعوا فرُّوا فما فاتُوا

(١) رياح ، قبيلة : دعاهم العبيديون ، هم وبنى زغبة ، وبنى الأبيج ، وبنى عدن ، وبنى سليم : بنى هلال بن عامر ، إلى النزوح إلى المغرب ليناوئوا الصنهاجيين من بنى المعز . وحين عبر عبد المؤمن إلى الأندلس نفر إليها منهم جمع ضخم . وزاد فيهم أبو يعقوب وأبو يوسف . حتى كثروا هنالك . (انظر المعجب ٢٠٥ ، ٢٢٥ — ٢٢٦) .

الترجمة التاسعة

[الغسانى]

[54 b] الحكيم الأديب المُتفنِّن / عبد المُنعم بن مُظفَّر الغسَّانى الجِلْيَانِىّ .

وقفتُ على ترجمته فى كتاب «الخريدة للعماد الأصفهانىّ[1]» و«تاريخ حلب» وفى «تاج المَعاجم» وفى «تاريخ بغداد لابن الدَّبيْثىّ[2]» وفى «تاريخ بغداد» أيضاً لابن النَّجار . فلخَّصتُ من جميع ذلك :

(١) هى خريد القصر وجريدة أهل العصر ، لأبى عبدالله محمد بن محمد بن أبى الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن على الكاتب الأصبهانى . الملقب بابن أخى العزيز . ولد سنة ٥١٠ هـ . وكانت وفاته سنة ٥٩٧هـ . وقد طبع منها القسم الخاص بمصر .

(٢) أول من صنف لبغداد تاريخاً هو أحمد بن أبى طاهر البغدادى . وتلاه أبو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ . ثم تلاه أبو سعد عبد الكريم السمعانى صاحب الأنساب والمتوفى سنة ٥٦٢ فذيله . ومن بعده عماد الدين أبو عبد الله محمد المتوفى سنة ٥٩٧ فألف ذيلاً على ذيل ابن السمعانى .

وكذلك ذيله أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثى الراسطى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ . وذكر ما لم يذكره ابن السمعانى (والد بيثى : نسبة إلى «دبيثا» بفتح أوله وثانيه وياء مثناة من تحت ساكنة وثاء مثلثة مقصورة : من قرى النهروان والنسبة إليها : دبيثاى ودبيثى ، وربما ضم أوله) .

ثم أخذ شمس الدين محمد بن أحمد الحافظ الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ ذيل ابن الدبيثى ولخصه واختصره فى نصفه .

وللحافظ محب الدين محمد بن محمود ، المعروف بابن النجار البغدادى ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ذيل عظيم على تاريخ الخطيب نفسه جمع فيه فأوعى أيضاً ، يقال إنه فى ثلاثين مجلداً .

ثم ذيل على ذيل ابن النجار تقى الدين محمد بن رافع المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

أنه وُلِدَ بجليانة[1] من جهات غَرْناطة سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، واشتغل بالطب والأدب، ورحل إلى المَغرب وٱشتهر هنالك ذِكرُه، وأقام مدة ببغداد يَمدح ويُخالط الأعيان والفضلاء، ويُطالع كتب الخزائن إلى أن تفنَّن. وٱستقرَّ بالشام وصار طبيبَ المارستان السُّلطانى فى السَّفر والحضر، أيامَ صلاح الدين بن أيوب وبعده، إلى أن مات بدمشق سنة ثلاث وستّمائة.

ومَدح فى أول أمره صلاحَ الدين بمدائحَ مُختصرات، فأعطاه عليها ثلاثمائة دينار مِصْرية، فحسده أحدُ الحاضرين / وأظهر ٱستكثارَ [55a] ذلك فى حقّه، فزاده السلطانُ ثلاثمائة دينارٍ أُخرى.

ووقفتُ على ديوان شعره، وأكثرُه مملوء من السَّخف والمجُون، من نَمط قوله فى أبى الوَحش، الذى كان يَتطايب فيه مع أصحابه:

[طويل]

إذا جاءنى يوماً نَعىُ أبى الوَحْش وأبصرتُه فوق الرُّءوس على النَّعْش

(١) جليانة، بالكسر ثم السكون، وياء وألف ونون: حصن بالأندلس من أعمال وادى آش (عن معجم البلدان). وقال ياقوت: «ومنها عبد المنعم بن عمر ابن حسان الشاعر الأديب الطبيب. كان عجيباً فى عمل الأشعار التى تقرأ القطعة الواحدة بعدة قواف. ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكمى مكتوباً فى خلال الشعر. وكان يعمل من ذلك دوائر وأشجارا وصوراً. سكن دمشق، وكانت معيشته الطب. لقيته ووقفنى على أشياء مما ذكرته وأنشدنى لنفسه ما لم أضبطه عنه. ومات بدمشق سنة ٦٠٣ هـ».

وعلى الرغم من هذه اللقيا فقد أغفل ياقوت أن يترجم له فى كتابه «إرشاد الأريب» واكتفى بما ذكره عنه هنا فى معجم البلدان.

وقد جعلوا من نهر «قلّوط» غُسلَه ... وكفّن فى كِرْشٍ وألحد فى حُشّ
وظلّ لما يَلْقاه من هَوْل مُنْكَرٍ ... وشِدّةِ ضِيقِ القبر يَضْرط كالجَحْش
بذلْتُ لصَحْبي زِقّ خَمْر وقَينةً ... وزخرفتُ دارى بالنّمارق والفرش
فإنْ قيل لى ماذا التكرُّم والسَّخا ... أقُلْ لهمُ مات الوضيعُ أبو الوَحْشِ

وقولُه يخاطب صديقاً له من أهل الجاه بشَيْزر[1] رغب إليه أبو الوَحْش فى أن يُصحبه نحوه كتاباً :

[منسرح]

أبا الحُسين اُستمعْ مَقال فتًى ... عُوجل فيما يقولُ فارتجلا
هذا أبُو الوَحْش جاء مُجتدِيَ الـ ... ـقَوْم فنَوِّه به إذا وَصَلا
واتْلُ عليهم بحُسن شَرْحك ما ... أتلوه من أمْر شأنه جُمَلا
وخَبِّر القومَ أنه رجلٌ ... ما أبصر الناسُ مثلَه رجُلا
/ تَنوب عن وَصْفه شمائلُه ... لا يَبْتغى عاقلٌ به بَدَلا [55a]
وهو عَلَى خِفّة به أبدًا ... مُعترف أنّهُ من الثُّقَلا
يَمُتّ بالثَّلْب والرَّقاعة والسُّـ ... ـخف وأمّا ما سِواه فلا
إن أنت فاتحتَهُ لتَخْبُرَ ما ... يَصْدُرُ عنه فتحت مِنْهُ[2] خَلا
فَسُمْهُ إن حَلّ خُطّة الخَسْف والـ ... ـهُونِ ورَحِّبْ به إذا قفلا
وسَقِّه السُّمّ إنْ ظَفِرْتَ به ... وامزُج له مِنْ لُعابِكَ العسلا

(١) شيزر ، بتقديم الزاى على الراء : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم .
(٢) خلا ، بالمد وقصر للشعر : المتوضأ وحيث تقضى الحاجة .

وقوله ، وهو طَيّار بالمشرق : [مخلع البسيط]

يا ساهرًا فى اقتناء عِلْمٍ ... يخُطبُ منه مقامَ مُحْكَمْ
بدُون هذا تُرَى فقيها ... فوسِّــع الكُمَّ ثُمَّ عَمِّم
والْبس من الشُّهب طَيْلسانًا ... وأغمِدْه فى المَنْكبين وأختم
وأجلس مع القوم فى جِدالٍ ... لا بالبُخارى ولا بمُسْلم
إلاّ صِياحًا و نَفْض كُمٍّ ... ونَظْم «لا لا» وقول «لمْ لمْ»
فما أرى عنــدهم عُلوماً ... أكثر من «لا» و«لا أُسَلِّم»

واستحسنوا قولَه فى الخمر : [طويل]

وصفراء لولا نَفْحُها ومَذاقُها ... لقلتُ نُضَارٌ فى الأباريقِ ذائبُ
من الماء فيها للحَباب عَمائمٌ ... وللنَّور منها فى الأكُفِّ ذَوائب [56a]

ومن أبياته المُفردة قولُه: [بسيط]

قد يُكْرَمُ الفرْدُ إعجاباً بخِسَّته ... وقد يُهان لفَرْط النَّخوة السَّبُعُ

وذكر العِماد الأَصفهانى أنه صنّف كتاباً سمّاه بـ « نهج الوضاعة لأُولى الخَلاعة[1] » .

وذكر المؤرّخون أنه كان بمَجلس السلطان صلاح الدين ، فقال له

---

(١) ذكر حاجى خليفة هذا الكتاب « نهج الوضاعة لأولى الخلاعة » ونسبه لأبى الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلى المتوفى سنة ٥٤٩ هـ .

الفاضل البَيْسانى[١]، ليُغُضَّ منه بنَسبه :

يا أبا الفضل ، كم بين جِلْيانة وغَرْناطة ؟ فقال : الذى بين بَيْسان والقُدس . فخَجل الفاضل وظهر ذلك فى وجهه[٢] .

---

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٦) من هذا الكتاب .

(٢) وانظر ديوان الغسانى الجليانى مصورة الجامعة العربية عن الآستانة . مكتبة أحمد الثالث . كتبت سنة ٨٩٧ هـ .

وقطعة منه تنتهى بآخر حرف العين بعنوان : « ديوان الحكم ومعادن الكلم » . مصورة عن المتحف البريطانى .

تراجم سنة أربع وستمائة
ست

من المشارقة :

من العراق :

١ ــ الجمال البغيديدى حسين بن أحمد
٢ ــ أبو محمد جعفر بن محمد الكفرعزى

ومن الشام :

١ ــ البهاء بن الساعاتى الدمشقى أبو الحسن على بن محمد بن رستم

المغاربة :

المغرب الأقصى :

١ ــ أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن

ومن الأندلس :

١ ــ أبو عمران موسى بن عمران المارتلى
٢ ــ أبو الحسن على بن محمد بن خروف القرطبى

الترجمة الأولى

[البغيديدى]

الشاعر الجمال البُغَيْدِيدىّ حُسين بن أحمد[١] .

لم أجد ذكره فى تاريخ وإنما أخذتُ ترجمته من الحافظ أبى المحاسن الدمشقى[٢] ومن أُدباء العراق :

/ هو من بُغَيْدِيد ، قَرية من قرى الحِلّة المشهورة بالعِراق . [56b] وأول ما عرفتُ من أمره أنّى أول ما سافرتُ إلى بغداد بتُّ ليلة على شاطئ دجلة فى بُستان ، فسمعتُ فى هدوء الليل شخصَين يُغنّيان بهذه الأبيات فى أحسن صَوت وأبدع لحن :

(مجزوء الكامل)

بين العَقِيق وحاجِرٍ أفنيتُ ماءَ محَاجِرِى[٣]

---

(١) يظهر أن ياقوت فى معجم البلدان أراده — أعنى الجمال البغيديدى — عند الكلام على « بغيديد » حين يقول : « بغيديد ، تصغير بغداد ، فى ثلاثة مواضع ، أحدها من نواحى بغداد فيما أحسب ، كان منها شاعر عصرى يقيم بالحلة المزيدية والنيل وتلك النواحى . كان جيد الهجاء » . ووفاة ياقوت ، كما هو معروف ، كانت سنة ٦٢٦ هـ .

(٢) هو أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد . التكريتى الجد ، الموصلى الأب ، الدمشقى المولد ، الشهير بالحافظ . وكان له مشاركة فى فنون . وكان أديباً شاعراً . وكانت وفاته سنة ٦٧٣ هـ .

(٣) العقيق : هو فى الأصل كل مسيل ماء . قال أبو منصور : وفى بلاد العرب أربعة أعقة ، منها : عقيق المدينة ، وهو المراد هنا ، لذكر « حاجر » معه . وحاجر : موضع قبل معدن النقرة . والنقرة : بطريق مكة ، يجىء المصعد إلى مكة من الحاجر إليه . (انظر معجم البلدان) .

كم لى بذاك المُنْحنَى مِن طِيب عَيْشٍ ناضِر
أيامَ أَرتع للصّبا فى كُلِّ رَوْضٍ زاهر
وأَرودُ كُلَّ غَضارة للعَيْش غيرَ[1] مُحاذِر
أَحْبابَ قَلْبى غِبْتُمُ وسَكنتمُ[2] فى خاطِرى
وجفوتُمُ وخيالُكم من رَحمةٍ لِىَ زائرى
أَنْسِيتُم عهدَ المَشُو قِ المُستهام الذّاكر
وزَهدتُمُ وغفلتُمُ عن ذى غَرامٍ ساهِر
كُونوا كما شِئْتُمْ ففيكم قد فَضحتُ سَرائِرى
وعليكمُ اقتصرتْ أوا ئلُ صَبْوتى وأَواخِرى
/لا أَوْحش الله الحِمَى مِن كُلِّ ظَبْيٍ نافِر [57a]
ومن الغُصون المائسا ت وكُلِّ بَدْرٍ سافر
ومِن النّسيم مُعطَّرًا ومِن الغَمام الباكر

فما فَرَغا من هذه المَقطوعة إلّا وقد كِدْتُ أَخرج عن الوُجود طرَبًا، وبَقيتُ وقد سُرَّ بها خاطرى. ثم جعلتُ أبحث عن قائلها ، فأُخبرت أنها للجمال البُغَيديدى . وهو صاحب مُقطَّعات فى الغرام والمُجُون

---

(١) أرود : أطلب .

(٢) فى هامش الأصل رواية أخرى، وهى : « وحضرتم » .

والهجاء . وأكثر مَسلكه فى طريقة مَنْصور الفقيه[١] . إذا رَمى بزَوْجه[٢] قتَل، كقوله فى شخص ثَقيل، كان يَزُور بثَقيلٍ آخر يُلقَّب بالسِّراج[٣] :

[خفيف]

ما كَفَى الناسَ ما بهم منك حتّى ... صرْتَ تَغشاهُمُ ومعْك السِّراجُ
فإذا زُرْتَ لا تَزُرْ بجَنِيبٍ ... لا يكونُ الطاعونُ والحجّاج

---

(١) هو أبو الحسن منصور بن إسماعيل بن عمر التميمى المصرى الفقيه الشافعى الضرير . أصله من رأس عين بالجزيرة . وأخذ الفقه عن أصحاب الشافعى. وله مصنفات فى المذهب ، وله شعر جيد سائر ، ومن شعره :

عاب التفقه قوم لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وله :

لى حيلة فيمن ينـ ... ـم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتى فيه قليله

وله أيضاً :

الكلب أحسن عشرة ... وهو النهاية فى الخساسه
ممن ينازع فى الريا ... سة قبل أوقات الرياسه

وكانت وفاته سنة ست وثلثمائة بمصر . (انظر طبقات الفقهاء للشيرازى، ووفيات الأعيان) .

(٢) يريد البيتين الاثنين . وأنت ترى فيما أوردنا لمنصور أنه يقتصر على البيتين، وكذلك فعل البغيديدى .

(٣) لا أدرى هل من الإثقال أن أذكر هنا أن السراج الوراق الشاعر المصرى عمر بن محمد ، كان مولده سنة ٦٠٥ هـ وأن وفاته كانت سنة ٦٩٥ هـ .

وقولُه فى شخص نازلٍ يُكْثر من التِّيه ، ولا يتكلَّم أ
أو عِلم إلاَ قطع حكايتَه وجعل يحكى :

]

يا تائهًا يا جاهـــلاً يا قاطعاً كلَّ مَقال جاء مِن

[576] / لا يصبرُ الناسُ على كُلِّ ذَا مِن ذِى عَلاءٍ كيف مر

وقال فى شخص رفعه الزمانُ بالاشتغال فى بعض الأعمال
وكان يُطعن فى نَسبه باليهوديَّة :

يا ناظراً فى عِطْفه مُعْجَباً يَبْخل أنْ يبدأنا

واللهِ لو أصبحتَ من هاشمٍ مِن مَعشرٍ سادُوا الورَ

ما فيهمُ بعـــــد أبى جَعْفر إلّا إمامٌ وارث

لم نَحْتمل منك الذى جِئْتَه مِن صَلَفٍ يُزْرِى بعَقْ

فكيف والسبتُ غَدا عِيدَكم عُذْرُكمُ أمسَى عل

وأُنشدتُ له فى طريقة المُجون :

رأيتُ إذا زَيدٌ على ظَهْر أَمْرد فقلتُ له ماذا الذى

فقال صغيرٌ ليس يعلم صَنعةً أعلِّمه ـ والأَجرُ لى ـ

وقوله :

جاء على بَغْـلة يُعظِّمه النَّـــاسُ وقالُوا فتًى

فقلتُ مَن ذا ؟ فَقِيلَ لى رجلٌ يلُوط لكنْ يَبُوس مُلْتَفِتا[1]

ومن محاسن نوادره : قولُه يخاطب أَحدَ وزراء بغداد :

[بسيط]

[58a] / قُل للوزير أَدام الله دَوْلَته يا أَعْدلَ الناسِ حالى كيف تَلْتَبِسُ

إنَّ الغلام وبِرْذَوْنى قد اتفقا من فَرْط جُوعهما ما فيهما نَفَس

وإن تَصرَّم هذا اليومُ بى فَغَدًا يَمْشى الغلامُ ولا يَمشى بىَ الفرَس

وذُكر أنه مات فى سنة أَربع وستمائة .

ثم تذاكرتُ مع الحافظ أبى المَحاسن الدِّمشقى بعد ذلك فى شأنه فأخبرنى أنه عُمِّر، وانتقل عن المُجون والاستهتار إلى طريقة الفُقراء ، ولزم الزَّوايا والرُّبُط ، وقال :

[خفيف]

أُرْعشتْ كَفُّه على الكأس حينًا ثم قد أُرعشت على القِنْديلِ

ومَحا مِنْ صَحائف اللَّهو ما أَثْـ ـبته فى صَحـــائف التَّنْزيل

وتذاكرتُ مع العِزّ الغَنوىّ[2] فيه ، فأخبر أنه ذكره فى كتابه فى «مَن لقيه من الشعراء» فرَوى عنه، وأَنشدنى عنه أبياته التى خاطب بها الوزير ، وقد تقدّمت ، وقولَه :

[خفيف]

هو مثلُ السُّلطان فى بَلد النِّيـــل وهَـذا عَجْزٌ من السُّلطانِ

قِيل عنه إنسانُ سَوْءٍ فما عا ينتُ إلاَّ مرأًى بلا إنسان

---

(١) أى يعطى دبره . (٢) ذكر ابن تغرى بردى واحداً بهذا الاسم فى وفيات سنة (٦٦٠ هـ) فقال: « وفيها توفى الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوى الشافعى الإربلى ، الملقب بالعز » ثم قال : « وكان فاضلا فى العربية والنحو والأدب وعلوم الأوائل » .

الترجمة الثانية

[الكفرعزى]

[58 b] / العالم القاضى أبو محمد جعفر بن[1] محمود الكَفْرعَزّى . من كَفْر عَزّى ، من ضياع إربل .

ذكر عنه مؤرّخ إربل أنه كان إماماً فى الفقه الشافعى ، مُشاركاً فى العلوم الحديثة والقديمة .

ولى قضاء إربل ومات فى سنة أربع وستمائة . وأنشد له :

[وافر]

ولو أنّى كتبتُ بقَدْر شَوْقى إليك لضاقَ عن كَتْبى الفَضاء
أُعلّل فيك رُوحى بالأمانى وأرجو أنْ يَطول لك البقاء

وتذاكرت مع الشَّرف يَعقوب الإرْبلى فى شأنه ،فأثنى عليه ووصفه بخفّة الروح ولطافة المَنْزِع . وأنشد له :

[مجتث]

أَهْوَاك يا بَدْرُ لكنْ مَنْ لى بقُرْب البُدور
ولى إليك اُشتياقٌ وكيف أَسْلُو سُرورى
ما بيننا من وِصَالٍ إلّا الذى فى السُّطور
يَطغَى فيُخْرِجه الشَّو قُ مِن خَبايا الصُّدور

---

(١) فى عنوان التواريخ لابن الساعى : « أبو محمد جعفر بن محمد بن محمود بن هبة الله » . وقد ذكر المؤلف قبل فى وفيات سنة ٦٠٣هـ من اسمه «جعفر ابن هبة الله الكفرعزى» ، وهما فيما يبدو شخص واحد . ولكن النقل اضطرب على المؤلف .

قال : وكان فى إربل شخص كثير الإلحاح واللَّجاج والمُتابعة ، / فاتفق له أن استُوزر ، فقال فيه : [59 a]

[مجتث]

قُولوا أَحقًّا سَمِعْنا أم ذاك يُخْلَق زُورَا
أَضْحى « النَّصِيبِي »[1] مُعِينًا فى مُلكِنا ونَصِيرا
إنْ أَبصرتْه لِحاظى مُشَـــاوِرًا ومُشيرا
بَدوْلةٍ كان هذا يومًا علينا عسيرا
فلا رعَى اللهُ وقتًا قُدِّمت فيـه وَزيرا
نموت جُوعًا ولسنا نُلْقِى إليك الأُمورا

قال : وجرى له أن تحاكم عنده شخص جرئ متكلّم مع شاب كما خُط عِذاره ، فتّان الصُّورة . فجعل القاضى يُقبل على الشاب . فقال له بما فيه من القِحة : أراك يا قاضى المُسلمين تَميل إلى هذا الصبىّ ولا تلتفت إلىّ!

فقال القاضى : ذاك لأننى أتبيّن مجارى الحق من أثناء كلامه . قال : لا والله ، بل فتنك بألفه ولامه . فحبَسه الحاضرون وهمّوا به . فقال : ما على هذا من جُناح ، أحملوه إلى المارستان حتى يتطبّب ، فقد نَشف دماغه . / فحُمل للمارستان وانحلت القضيّة . ثم أطلقه بعـد ذلك . [59 b] فكان يلقّب بالنّاشف . فأضجره الناسُ ، فهرب إلى الموصل .

---

(١) كذا . والنصيبى : نسبة إلى نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة . وسهلت الياء للشعر . وإن صح فلعل المهجو طارئ على إربل من نصيبين .

الترجمة الثالثة

[ابن الساعاتى]

الشاعر المُجيد الشهير المُكثر الجليس البهاء بن الساعاتى الدِّمشقى أبو الحسن على بن محمد بن رُستم .

وقفت على ترجمته فى «تاريخ حلب» و «تاج المعاجم»[١] . ووقفت على ديوان شعره فى أربع مجلدات[٢] . وهو مَمْلُوء من المحاسن .

وتلخيص أمره : أنه خُراسانى الأصل، وُلد بدمشق . وكان أبوأُمه يشتغل بالساعات التى على باب الجامع[٣] ، فعُرف به .

قالوا: ولم ينشأ بدمشق فى زمانه أبدعَ منه صُورةً . وبَرع فى صباه خطًّا وشعراً، ولعباً بالشطرنج والنَّرْد ، وفى الفُروسية . فخالطه الكبراء، وهام فيه الجِلَّة، ونادمه المُلوك ، وجالسه السلاطين / إلى أن قُدِّم على الجميع[٤]، [60 a] وأُبيح له ضَرب طُبولهم، على عادة أهل المشرق .

وجُلّ مديحه فى السلطان صَلاح الدِّين بن أَيوب، وبَنيه : العزيز[٥]

---

(١) وانظر أيضاً : وفيات الأعيان . وشذرات الذهب.

(٢) الذى ذكره ابن خلكان أنه يدخل فى مجلدين . وهو غير ديوانه الصغير الذى سماه مقطعات النيل . ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية . وقد طبع بتحقيق الأستاذ أنيس المقدسى .

(٣) الذى فى طبقات الأطباء (٢ : ١٨٤) أن أباه محمد هو صاحب هذه الصناعة .

(٤) فى الأصل : « جمع » .

(٥) انظر الحاشية رقم (١ ص ١٤) من هذا الكتاب .

صاحب مصر ، والأفضل[١] صاحب دمشق، والظاهر[٢] صاحب حلب .
وله مِدح كثيرة فى نَجم الدين بن مُجاور وَزير العزيز، وقد تقدَّمت ترجمتُه.
ومن المشهور أنه قرأ فى أول أمره على البـديع الأَسطرلابى[٣] بآمِد.[٤] وكان له ألف دينار، فجعلها فى حُبّ بيت البـديع ولم يُعلمه ، فاتفق أَن دَخل سَقَّاء وحَمل الحُب فوقع على الذَّهب فأخذه . وتفقَّده ابنُ الساعاتى فلم يجده . فجزع وشكا ذلك للبديع . فقال البديعُ ما اشتهر، لما تضمّنه من الإحسان وطريف المَقصد :

[بسيط]

يا مَن إذا غاب عنّى لستُ أَنساه ومن أُصافيه وُدِّى حين أَلقاهُ
إِنْ كان مالكُ ماءِ الحُبّ ألّفه كما علمتَ فماء الحُبّ أَفناه

ثم سَعى فى شأنه حتى خَلَّصه من السقّاء .

وكانت وفاة ابن الساعاتى بالقاهرة سنة أربع وستمائة . / [60 b]

---

(١) هو الأفضل الأيوبى على بن يوسف صلاح الدين بن أيوب . استقل بدمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩ هـ . ونزعه عنها أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢ هـ . وكانت وفاته سنة ٦٢٢ هـ .

(٢) انظر الحاشية رقم (٣ ص ١٢) من هذا الكتاب .

(٣) هو أبو القاسم هبة الله بن يوسف ، وقيل : أحمد، المنعوت بالبديع الأسطرلابى ، الشاعر المشهور ، وكان وحيد زمانه فى عمل الآلات الفلكية . وكان فى شعره يميل إلى المجون والفكاهة . توفى سنة ٥٣٤ هـ .
والأسطرلاب ، كما ضبطه ابن خلكان ، بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وضم الطاء المهملة وبعدها راء ثم لام ألف ثم باء موحدة .
(انظر وفيات الأعيان، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى) .

(٤) آمد : بلد قديم ، يحيط دجلة بأكثره . (عن معجم البلدان) .

وتصفّحتُ شعرَه فوجدتُه يَجمع بين ألفاظ المَشارقة الرَّقيقة، ومعانى المغاربة الدقيقة ؛ فلا يَخلو مِن صَقْل الكلام وغَوْص الفكر . وإذا أردتَ أن تَقف على عُنوان ذلك فأَصْغِ إلى قوله من قَصيدة لصلاح الدين ابن أيوب :

[كامل]

هَزَّ[1] الصِّبا أعطافَه هَزَ الصَّبا ... أَعطافَ غُصن البانة الهَيْفاء

ماضَم صَدْرُ ضُحًى كَطَلْعته ولا ... يَنْشقّ عن ثانيه جَيْبُ سماء

وبمُهجتى الدّانى القريبِ[2] خيالُها ... ومَزارها عنّى البعيد النّائى

وَهَبتْ مَباسِمها الصباحَ وقَبلها ... خَلعت ذَوائبَها على الظَّلماء

وقفتْ وقُوف الدَّمع ثم مشت إلى التَّ ... وديع مَشْىَ الوَجْد فى[3] الأَحْشاء

وقوله من قصيدة فى الوزير ابن مُجاور ، وهو مما يُغنَّى به[4]:

[كامل]

عِزُّ الجفون وذِلَّةُ الصَّبْر ... حَكَماَ علىَّ بطاعة الهَجْرِ

ما كنتُ أَعلَم قَبْل كاظمةٍ ... أنَّ الوَفاء طَلِيعةُ[5] الغَدْر

---

(١) مطلعها كما فى الديوان المطبوع (١ : ٥٧) :

أحيى بسهم المقلة النجلاء ... فنجاء من نجل العيون نجاء

(٢) فى ديرانه : « خياله » .

(٣) هذه الأبيات من قصيدة عدد أبياتها ستة عشر بيتاً .

(٤) هو نجم الدين يوسف بن المجاور . وانظر الديوان (١ : ٢٠٨) .

(٥) كاظمة : جو على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان . وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر . وقد أكثر الشعراء من ذكرها . (انظر معجم البلدان) .

لو كنتُ أسأل بعد[١] وَقفتنا عن ذاهبٍ لسألت عن صَبْرى

[61 a] /يا كعبةً فى الحسن[٢] ما نُصبتْ إلّا لكَسْب الإثم لا الأجر

عَلَّمت دَمْعِى السَّعْى ثم أخذ ت الصبر عنك[٣] بسُنة النَّفْر

لو كنتِ عادلةً على دنفٍ لمنعتِ ظُلْم الرِّدْف[٤] للخَصر

ولَمَا[٥] ضربتِ بسيفِ لَحْظك مَعْ مودًا فباء الجُفْن بالكسر

لفُتوره وَحْىٌ إلىَّ على هاروتَ أنزل سُورةَ[٦] السِّحْر

وبَسَمْتِ مِن دَمْعى ولا عَجَب للغادِيات تَبسُّم الزَّهر

ما راعنى فى وَجْنَتيك[٧] ضُحًى غير اصطلاح الماء والجَمْر

يا ليلةً بالنَّعف[٨] فُزْت بها ما كنتِ إلّا ليلةَ القَدْر

أُسْقَى بريقك وهى صافيةٌ صهباءَ فى قَدَحٍ من الدُّرّ

وحَدَدْتنى باللَّحْظ حين رأيـ ـتِ الحدَّ يلزم شاربَ الخَمْر

وسوادُ قَلْبِ اللَّيل يَخْفق فيـ ـه البَرْقُ خوفَ طَلِيعة الفَجْر

حتى بدا وكأن طَلْعته وَجْه الوزير يهشّ[٩] للسَّفْر

---

(١) فى الديوان : « وقفتها » .

(٢) فى الديوان : « للحسن » .

(٣) فى الديوان المخطوط : « عنه » .

(٤) فى الأصل : « فى الخصر » . وما أثبتنا من الديوان .

(٥) فى الديوان : « ولقد » .

(٦) فى الديوان : « آية » .

(٧) فى الديوان : « بها » .

(٨) النعف : أكثر من موضع .

(٩) فى الديوان : « بالبشر » .

وقوله من قصيدة فى الفاضل البَيْسانى[١]، وهو أفضل مما يُغنَّى فيه :

[كامل]

لَهْفِى[٢] على غُصْن النَّقَا المُتمايِلِ يَهْتزُّ مُعْتدلاً وليس بعادِلِ
[61 ب] /لا يستبين[٣] مُنازلاً عُشَّاقه بفتُور لَحْظ كالقَضاء النّازل
فشِعَارُه مِن فارس ونجارُه من عامرٍ ولحاظُه مِن بابِل
يا قَلْبَ عاشِقه وأَسْهم[٤] لَحْظه مَن أَلْزم المَقْتُولَ حُبَّ القاتل
يَلْقاك مِن لَدْن القوامِ برامِحٍ ويصُول مِن هُدْب الجفون بنابِل
كالبَدْرِ يَسْرِى فى نُجومٍ قلائِدٍ وظلامِ أَصْداغ وسُحْب غَلائل
ماجال دَمْعِى بعد طُول جُموده إلَّا عَلَى ذاك الوِشاح الجائِلِ

وقولُه من قصيدة ، وهو مما يُغَنَّى به :

[طويل]

فُؤادى[٥] وفَوْدِى بعد لَمْياء أَشْيَبُ وقلبى على جَمْر الغَضَى يَتقلَّبُ
إذا ماسَ غُصْن قلتُ قَدٌّ مُهَفْهف
وإنَّ لاح بَرْقٌ قلتُ كفٌّ مُخَضَّب
فلا تُنْكِرَا ذِكْرَ العُذَيب وبارقٍ فإنِّى بثَغْر المالكيّة[٦] أَنْسُب

---

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٦) من هذا الكتاب .
(٢) انظر الديوان (٢ : ٢٥) .
(٣) فى الديوان : « لا يستفيق » .
(٤) فى الديوان : « وسهم جفونه » .
(٥) القصيدة فى مدح العادل. انظر الديوان (١ : ١١٧)
(٦) العذيب : ماء بينه وبين القادسية أربعة أميال . وبارق : ماء بالعراق ، وهو الحد بين القادسية والبصرة .

أغار على القُرْطين خِيفَة حَبِّها أَلَست تَراها مِثْلَ قَلبى تُعَذَّب
وأُنكِر من تلك الغَدائِر أنَّها
إذا أُرْسلت ظلّت مع الشَّعر[1] تَلْعب

ومن أبياته المفردة الواقعة فى أشعار السَّماع قولُه:

[كامل]

لو لم يَكُن هاروتُ ساحر[2] قُرْطها
ماكان فى ذاك الفَضَاء يُعَلَّقُ

وقولُه:

[خفيف]

/قالَ سَعْدٌ وقد رَأَى فَيْض[3] دَمْعِى ليت شِعْرى ما حدَّثَتْه البُروقُ [62 a]

ومن «كنوز المعانى» قولُه:

[كامل]

لا تعجبنّ لطالبٍ بَلغ المُنَى كهلًا وأَخْفق فى الزّمان الأَوّلِ
فالخمر تَحكم فى العُقول مُسِنّة وتُدَاس أولَ عَصْرها بالأَرْجُل

---

(١) فى الديوان:
« متى أرسلت ظلت مع الحجل تلعب »
(٢) فى الديوان (١ : ٨٩): «لامع».
(٣) فى الديوان (١ : ٢٧٧):
« قال سعد لما رأى فيض جفنى »
والبيت من قصيدة فى مدح الوزير صفى الدين.

وقولُه :

[كامل]

كادتْ تَطِير من الزُّجاج وإنّما صاغ المِزَاج لها خَفِيَّ شِباكِ[1]

وقوله فى النهر :

[كامل]

صَدَأُ الظِّلال يَزيد رَوْنَقَ حُسْنه أرأيتَ سيفاً قط يُصْقَل بالصَّدَا[2]

وقوله :

[كامل]

والطيرُ تَقْرأُ والْغَدِيرُ صَحيفةٌ والرِّيح تَكْتُب والغَمَامة تَنْقُطُ[3]

وهو من أَوْلع الناس بالتَّلفيق، وجَمْع ما يقف عليه مُتفرقاً، كقوله:

[كامل]

قُمْ[4] يانَدِيمُ إلى مُباشرة الْوَغَى فالحربُ قائمةٌ ونحن هُجُودُ

القَطْر نَبْل والغَديرُ سَوابغ والبرقُ بِيض والغمام يَقود

[62 b] وقوله ، وكان أبو الفَضل التِّيفاشى[5] يقول : لم يَطْرق / سَمعى

---

(١) القصيدة فى تهنئة العزيز . انظر الديوان : (١ : ١٠٥)

(٢) وقبل هذا البيت فى الديوان (١ : ١٠١)

سلفت سهام المزن فى هضباتها فكأن جدولها حسام جردا

يمضى فيغمد فى الغدير نباته فلأجل ذلك لا يزال مزردا

(٣) انظر الديوان (٢ : ٤) .

(٤) انظر الديوان (٢ : ٧)

(٥) هو القاضى أبو الفضل أحمد بن أبى يعقوب التيفاشى . ممن أجازهم ابن سعيد ليرووا عنه كتابه المغرب. وقد نقل المقرى (٣ : ٩٧ — ٩٨) : « وجد بخطه رحمه الله تعالى—أى خط ابن سعيد— آخر الجزء من كتاب المغرب ما نصه : =

فى مَنزعه أحسنُ منه : [كامل]

يا حبّذا[١] ذاك الزَّمان وطِيبُه ... والحادثاتُ عن السُّرور نِيامُ
ومواقف بالنَّيْرَبَيْن[٢] شهدتُها ... والعيشُ غَضٌّ والزَّمان غلام
جَمُد المُدام بهنَّ فهو فواكِهٌ ... تُجْنَى وذابَ التِّبْر فهو مُدَام
فى جَنة[٣] جُليت فنقَّطها الحَيَا ... بعُقود دُرٍّ خانَهنّ نِظَام
كَمُلت[٤] فتَرْجسها المُضَاعَف أعيُن ... والوَرْد خَدٌّ والقَضِيب قِوام

وقوله[٥] :

[كامل]

لله يَوْمُ النَّيْرَبَيْن ووَجْهُـــه ... طَلق وثَغْر اللَّهو ثَغْرٌ أَشْنَبُ
وكأنّمـــا فَنَن الأراكة مِنْبَر ... وهزَارها فوق الذُّؤابة يَخْطُب
والرَّعْد يَشْدو والحَيَا يَسْقِى وغُصْـ ... ـنُ البانِ يَرْقُص والخمائل تَشْرَب

= أجزت الشيخ القاضى الأجل أبا الفضل أحمد ابن الشيخ القاضى أبى يعقوب التيفاشى أن يروى عنى مصنفى هذا، وهو المغرب فى محاسن أهل المغرب. ويرويه من شاء ثقة بفهمه واستنامة إلى علمه » .

(١) هذه الأبيات فى تشوقه إلى دمشق، قالها وهو بمصر . والمقطوعة هنا وإن كانت تعادل فى العدد مقطوعة الديوان إلا أنها هنا تنفرد بهذا البيت . وجاء بدله فى الديوان :

والدوح يرقص والبروق بجوها ... مثل الصوارم فى الرقاق تشام

(٢) النيربان ، بلفظ التثنية ، هى النيرب ، بالإفراد : قرية بدمشق .

(٣) فى الديوان : « مخطوبة » .

(٤) فى الديوان : « سفرت » .

(٥) فى الديوان (٢ : ١٦٨) : « وحضر بستاناً فى النيرب مع جماعة على شراب وعندهم سقاة كالشموس وجاء مطر كثير ورعد وبرق، فسألوه أن يسم ذلك اليوم بشىء. فقال بديهاً » .

وكأنما السّاقِ يطوفُ[١] وكأسُه بدرُ الدُّجى فى الكفِّ منه كَوْكب
بِكْرٌ بها نَقْعُ الغَلِيل ومُعْجِبٌ نَقْع الغَلِيل بجَذْوة تَتَلهَّب
والقَطْر نِيلٌ والغدير سوابغٌ مَوضونة[٢] والبرقُ سَيفٌ مُذْهب

ومن أحسن ما وقع له فى التَّعليل قولُه فى المَدح :

[بسيط]

تَخْشَى الفَلا أبدًا غاراتِه فلذا قَلْب السَّراب على حافاتها يَجِبُ

[63a] / وعَهدى بأبى المَحاسن الدِّمشقى الحافظ يَهتزُّ طَربًا إذا أُنشد قوله فى غُلام تعلو وجهَهُ صُفْرة شفقيَّة[٣] :

[خفيف]

وبرُوحى مَن وجهُه شَفَقٌ الْـ لَونِ كالشَّمس رُوِّعت بالفِرَاقِ
لا لداءٍ لكنَّه غُمَّ وجدًا لم يَدَعْ غيرَ هائمٍ مُشْتاق
راق ماء الجمال فى وَجْنَتَيه فهو مرآة أَوْجُـــه العُشَّاق

ومن مَعانيه المُستحسنة قوله :

[بسيط]

لا تيأسَنْ مِن أخٍ ولَّى بجانبِه وإن بدا لك منهِ سُوء أخلاقِ
إن السماء تُرجَّى[٤] وهى نازحةٌ إذا ألحَّت بإرعادٍ وإبْراقِ

وقولُه :

[خفيف]

لا تَخَلْ أنّ كُلَّ ضَحْك سُرورٌ رُبَّمـــا كان مُؤذِنًا بالبُكاءِ

---

(١) فى الديوان : « بكأسه » .
(٢) موضونة : منسوجة بالدر والجواهر بعضها مداخل فى بعض .
(٣) انظر الديوان (٢ : ١٥٢) .
(٤) فى الديوان (١ : ١٣٧) : « لترجى » .

فطويلًا أبكى جُفونَ الغَوادِى ضَحِكُ البَرْق فى مُتون[١] السّماء

ويُستملح قولُه فى سوداء :

[خفيف]

زَعموا أنَّنى بجَهْلٍ[٢] تَعَشَّقْ تُ سَوْداء دُون بيضِ الغَوانِى
ليس مَعنى الجمال فيك بخافٍ إنما أنتِ خالُ خَدِّ الزَّمان

/ وقال فى مَنزل السعيد بن سناء الملك[٣] ، وقد تأنّق فى بنائه : [63 b]

[مجزوء الكامل]

يا منزلَ[٤] القاضى السَّعيـ ـد حَبَوْتَنى[٥] عِيًّا ولُكْنَه
ما أنت إلا جَنّـــةٌ إن كان فى الآفاق جَنَّه
حاكيتَ شَكْلَ[٦] كَليلة فتى يُرى كأخيه دِمْنه

وله نوادر كثيرة فى رجل كبير الأنف يلقّب بالسَّديد ، منها قولُه :

[مجزوء الكامل]

ما ضاقتِ الدُّنيا عـــلىّ وقد حَوت أَنْفَ السَّديد[٧]

ويُستحسن قولُه فى الباذنجان :

[سريع]

يا مُهْدِى الإبذَنْج أهلًا بمـــا أَهْديتَ لى إذ لم تَزل مُنْعِما

---

(١) فى الديوان (١ : ١١٥) : « بطون » .
(٢) فى الديوان (٢ : ٢٩٢) : « لجهلى » .
(٣) فى الديوان (٢ : ٣٩) : « وقال فى مقعد القاضى السعيد بن سناء الملك» .
(٤) فى الديوان : « يا مقعد » .
(٥) فى الديوان : « « منحتنى » .
(٦) فى الديوان : « حاكت كتاب » . وقبل هذا البيت :
صور تخف بأسطر أمثالها فى الحسن فتنه
(٧) قبله : فى الديوان (١ : ٢٣٣) :
يا مانعى صفو الوصال ومانحى كدر الصـــدود

أقْمَاعِ « كِيمُخْتٍ »[١] على أُكْرة من أَدَمٍ قد حُشِيَتْ سِمْسما

وقولُه[٢] : [كامل]

أو ما تَرى الأطْيارَ فى أشجارها كمُغرِّد قد دَبّ فيه شَرابُ
وكأنّ مُعتلَّ النَّسيم تحيّةٌ وكأنما أغصانُها أحْباب

وقولُه[٣]: [متقارب]

وأشجار مَوْزٍ نَزَلْنا بها فيا شَكَر اللهُ أَلْطافَها
حلا طَعْمُها وغَا عَرْفُها لمن ذاقَها[٤] ومن[٥] اُستافها [64a]
فمن كان ضَيَّع أَضيافَه فليستْ تُضَيِّع أضيافَها
كخُضْر البُنود إذا نُشِّرت وجاذبتِ الرِّيحُ أعطافها
وإلّا قُدود عَذَارَى رَقَصْن فظلَّت تُناقِل أَسْيافها
فلو كنتُ فى غيرِ قَيْد[٦] النُّهى لقُمْتُ فقبَّلتُ أطرافها

وقولُه : [كامل]

ولقد نزلتُ[٧] برَوْضةٍ حَزَنِيَّةٍ رَتعتْ نَواظرُنا بها والأنْفُسُ
فظَلِلْتُ أعجبُ حيث يَحْلِفُ صاحِبي والمِسْكُ من نفحاتها يتنفَّس
ما الجوّ إلا عَنْبر والدَّوْح إلّـ ـا جَوْهرٌ والرَّوْض إلا سُنْدس

---

(١) كيمخت (Kimukht) : لفظة فارسية بمعنى الجلد المتغضن .
(٢) انظر الديوان (٢ : ٢٦٤) .
(٣) انظر الديوان (٢ : ١٨٦) .
(٤) فى الديوان : « لذائقها » . (٥) استافها : شمها .
(٦) فى الديوان : « فى قيد غير » .
(٧) فى الأصل : « نظرت » . وما أثبتنا من الديوان (٢ : ١٦٤) .

سَفرتْ شقائقُها فَهمّ الأُقْحوا ن بلَثْمها فرَنا إليه النَّرْجس
فكأنّ ذا خدٌّ وذا ثَغر[1] يُحا ولُه وذا أبدًا عُيونٌ تَحْرُس

وقولُه مما يُكتب على سَيف[2] :

[كامل]

سِرْ بى ولا تَخَفِ المُقاتِلَ واثقًا بالله إنّ العار عَينُ المَقْتل
أنا بارقٌ حيث الدِّماء سحائبٌ أُهدى[3] المنيَّة فى ظَلام القَسْطَل
أَظْمَى وبِى نَقْعُ الغَلِيل وغيرُ مَا عَجبٍ إذا نُقِع الغَلِيل بجَدْول

ومن محاسنه التى يُحتاج إليها قولُه من قصيدة — وقد أُرجف[4] بصلاح الدِّين بن أيُّوب فيما انتابه — مُشيراً بعافيته : / [64 b]

[بسيط]

لك البقاء وللأَعداء ما زَعَموا وبالخَلائق جَمْعًا لا بِكَ الألَمُ
ما ضَرّ مَجدَك ماقالُوا وما أَفكوا ولا مَعاليك ماشادُوا وما هَدموا
وافَى كتابُك والآمالُ قاعدةٌ وَهْمًا فقامت إلى تَقْبيله الهِمَم
ما كان إلّا النَّدى فى كُلِّ واجبة أو العَظائم فى الآفاق تُقْتَسم
يُطْوى ويُستَر صَوْنًا ثم نَنْشره كالشمس تُسْفِر أحيانًا وتَلْتَثِم

وقال فى الجارية التى رَقَمت فى خدّها بالمسك حيَّة وعَقْربًا ، فأمر

---

(١) كذا فى الديوان المخطوط بدار الكتب المصرية . والذى فى الأصل والديوان المطبوع : « فكان ذا تفر وذا خد »

(٢) انظر الديوان (٢ : ١٥٣) .

(٣) فى الديوان : « يهدى » .

(٤) الإرجاف : الخوض فى الأخبار السيئة .

الملكُ العزيز الشُّعراءَ بالقول فيها :

[كامل]

يا ضَرَّة القمَرَيْن فى شَرَفَيْهما ... من أىِّ شَىءٍ منكِ لم أَتعجَّبِ
أَقبلتِ مثلَ الشَّمس فى غَسَق الدُّجى ... وحَمَلْتِ برقاً ضاحكاً عن كَوْكب
كتبتْ بخدَّيها[1] المَواشطُ فِتْنةً ... عَمَّت عُمومَ هَواكِ مَن لم يَكْتب
جاء الكَليم بآيةٍ من حيَّـــةٍ ... وأَراكِ[2] جئتِ بحيّـة وبعَقْرب

وكتب إلى الملك العزيز، وقد شَرب دواء ، قصيدةً منها:

[متقارب]

[65 a] /وعُرِّفْت غِبْطة هـذا الدوا ... ء من كُل مُؤْلمة فى[3] الجنان
فبُرْؤك صِحة جِسْم الوُجود ... نَعَمْ واعتدالُ مِزَاج الزمان

ومن مُستحسن مدحه الذى يُتمثّل به :

[كامل]

واهًا لسَعْيك فى بُلوغ مقاصد الْـ ... ـعافِى وبِشْرك فى وُجوه القُصَّدِ
طَلبوا عُلاكَ بأنفس ما عُوِّدت ... حُبَّ الثَّناء ولا اكتساب السُّودَد

---

(١) فى الديوان (٢ : ٦٦) : « بخديك » .
(٢) فى الديوان : « ولذاك » .
(٣) كذا بالأصل . ولم يرد البيتان فى الديوان .

الترجمة الرابعة

[أبو الربيع]

السيد أبو الربيع سُليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن . والده أكبر[١] إخوته . وهو الذى حاصر مدينة تُونس[٢] ، وغَضّ منه أخواه أبو يعقوب[٣] وأبو حَفص[٤] بعد وفاة أبيهم. فزعموا أنهما دسّا إليه جارية جميلة سمّته فى خِرْفة الجماع. وكان حينئذ والياً على بجاية. وولى ابنه هذا الإقليم فأخرجه منه على المِيُورقى[٥] وتنقّل فى الولايات ، كبَلَنْسية وسِجِلْماسة . وحيثما كانت ولايته اُجتمع إليه أهلُ الأدب واُشتهر مكانه . فقد كان متميزاً فى قومه ، عَالماً فيهم بهذا الشأن . وقد اشتهر اُختصاره [65b] للأغانى . وديوانُ شعره مجموع بأيدى الناس[٦] .

ومن الحكايات النَّبيلة أنه كان بمرّاكش تحت جَفْوة من المَنصور. فاتفق أن وَفد على الحضرة وفدٌ من الشام اُنتهى إلى ظاهر مرّاكش ،

---

(١) ساق المراكشى فى المعجب أولاد عبد المؤمن ستة عشر ذكراً ، وأشار إلى أن محمداً هو أكبر ولده ، لا عبد الله ، كما قال ابن سعيد .

(٢) يشير إلى حصار عبد الله تونس سنة ٥٥٣ هـ . ثم رجوعه عنها . (انظر المعجب ص ٢٢٨) .

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . وقد سبقت ترجمته فى الحاشية (رقم ٦ ص ٩٩) من هذا الكتاب .

(٤) هو أبو حفص عمر بن عبد المؤمن ، أمه ، وأم أخيه أبى يعقوب يوسف ، زينب بنت موسى الضرير .

(٥) هو على بن إسحاق بن غانية ، استخلص بجاية من أبى الربيع . ثم استردها يعقوب .

(٦) ذكر الأستاذ محمد المنونى فى كتابه « العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين » (ص ١٦٢) أنه وقعت له نسخة من هذا الديوان .

وعيّن لهم الدخول فى غداة اليوم الثانى فكتب أبو الرّبيع للمنصور[١]:

[كامل]

يا كَعْبةَ الجودِ التى حَجَّت لها عربُ الشَّآم وغُزُّها والدَّيْلَمُ
طُوبَى لمن أَمْسىَ يلوذ بها غداً ويطوفُ[٢] بالبَيْتِ العَتيق ويُحْرِم
ومِن العَجائب أنْ يفوزَ بنَظْرةٍ مَنْ بالشآم ومن بمكة يُحْرَم

فاستحسن المنصورُ مقصدَه وأظهر الرضَى عنه ، وأمره أن يكون هو الخارج للقائهم والداخل بهم عليه .

وذكره الشَّقُندى فى مُعجمه فأطنب فى الثناء عليه ، وقال : هو من مَفاخر بنى عبد المؤمن . وأحلّه منهم محلّ ابن المُعتز[٣] من بنى العباس، وابن المُعِزّ[٤]، من العَبيديّين ، وقال : كان / قديراً على النظم ، حافظاً [66a] للآداب ، جواداً لمن يتعلّق بأدنى سَبب يجب رَعْيه . وخَبرتُه فوجدتُه يجود فى أكثر الأوقات بما لا يساعد عليه الزمان .

قال : ولقد قلتُ له يوماً : يا سيدنا ، تُكلِّفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت . فضَحك وقال : إنّا نُغالب الزمان فيما نتكلّف ، ونرجو من فَضل الله ألّا يَغْلِبَنا .

---

(١) هو أبو يوسف ، وكان ابن عمه . وقد مرت ترجمته فى الحاشية (رقم ١ ص ٣) من هذا الكتاب .

(٢) فى نفح الطيب (٤ : ١٠٥) : « يطوف بها غداً ، ويحل »

(٣) هو الشاعر المبدع عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . وله ديوان . ولد سنة ٢٤٧ هـ وكانت وفاته سنة ٢٩٦ هـ .

(٤) هو تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى الفاطمى . ولد سنة ٣٣٧ هـ . وتوفى سنة ٣٧٤ هـ .

وأذكر أنه شُفع له فى شَخص مليح الكلام . فولّاه وأحسن إليه . فأتى بالقبائح . فذكر أمره وأنا حاضر ، ثم قال فيه :

[سريع]

لا تَصْنَعِ المَعْروفَ إلَّا لمنْ ... رأيتَه أهلًا لشُكْر الصَّنيعْ
كم منْ شَريف القَوْلِ قد غرَّنى ... بقَوْلِه والفعلُ منه وَضيعْ
ولم أكُن أغْلط فى مِثْله ... لكن رَمتْنى ثِقَتى بالشَّفيع

قال : وكان مُولعًا بالألغاز . ومن محاسن ما له فى هذا الباب قولُه فى القلم والدواة :

[طويل]

ومَيْتٍ برَمسٍ طُعْمه عند رأسه ... فإن ذاق مِن ذاك الطَّعام تَكلَّما
/ يَموتُ فيحيا ثم يَفْرُغ زادُه ... فيَرْجع للقَبْر الذى فيه تُيِّما [66b]
فلا هو حَىّ يستحقّ كرامةً ... ولا هو مَيْت يَسْتحق تَرَحُّما

وقوله فى الصابون :

[وافر]

وأسمرَ يَصْرِف السُّودانَ بيضًا ... ويَخْشَى الشّمسَ أنْ تَعْدو عليْهِ
له فى صُنعه سرٌّ مَليح ... وكُل النّاس مُحتاجٌ إليه

وقوله فى العيْن :

[وافر]

وطائرةٍ تَطير بلا جَناح ... تَفُوت الطّائرينَ وما تَطيرُ
إذا ما مَسّها الحجر اطمأنّت ... وتألم أن يُلامِسَها الحرير

قال : وصَحبتُه مرةً فى سَفر ، فجلسنا ليلًا على نَهر ، وقد تشكّل فيه القمر والنجوم ، فقال :

[متقارب]

وما سابقٌ لا يُرى صاعِدًا ... تُراه إذا ما أستقام انحدرْ
له مِنْك رُبْعٌ ومنه الحياةُ ... وذلك حَظُّ جَميع البَشَر
إذا ما جَلَسْتَ له ليـــلةً ... حَـكَى لك أَنْجمها والقَمر

وله فى جارية أسمها ألوفة[1] :

[طويل]

خَليليّ قُولَا أين قَلْبِي ومَنْ به ... وكيف بَقاءُ المَرْءِ من بعد قَلْبه
[66a] / فإن شِئْتُما إظهارَ سِرٍّ كتمتُه ... فقد بان فى أَمْرِى لكم بعد[2] قَلْبه

ومن مشهور غزله : [طويل]

أَقولُ لركبٍ أَدْلَجوا بسُحَيْرةٍ ... قِفُوا ساعةً حتى أَزُورَ رِكابَها
وأملأَ عَيْنى من محاسن وَجهها ... وأَشْكُو إليها أنْ أطالت عِتابَها
فإن هى جادتْ بالوصال وأَنْعمت ... وإلّا فحسبى أن رأيتُ قِبابَها
فقبَّلْتُها[3] فوق اللِّثام فقال لى ... هى الخَمرُ أُرْشفْت الغَداةَ حَبابها

وكانت وفاته سنة أربع وستمائة[4] .

---

(١) فى النفح : « ألوف » .

(٢) رواية النفح ، وهى أحق :

ولو شئتما اسم الذى قد هويته ... لصحفتما أمرى لكم بعد قلبه

يريد أمره لهما فى قوله « قولا » فقلبه « ألوق » وهو بعد التصحيف « ألوف ». وهو اسم من يحبها .

(٣) لم يرد هذا البيت فى النفح .

(٤) لم يذكر المقرى عام وفاته . وإنما اجتزأ بأن قال : « ومات بعد الستمائة » . وفى جذوة الاقتباس (ص ٣١٩) أن وفاته كانت سنة ٦١٠ هـ . وذكره ابن سعيد فى « الرايات » فى المائة السادسة .

الترجمة الخامسة

[المارتلى]

الفقيه الزاهد أبو عِمران مُوسى بن عِمْران المارتلى[١] . وقفت على ترجمته فى « معجم الشَّقندى » و « معجم والدى » . وتلخيصها : أنه من مارتله[٢] ، المعقل المشهور على وادى « آنَة » من عمل « باجَة » من الأندلس .

وسكن إشبيلية ، واشتهر بالزُّهد والانقطاع حتى كان فى ذلك

---

(١) قال الحميرى فى كتابه « صفة جزيرة الأندلس » عند الكلام على « مارتلة » : « منها الزاهد موسى بن عمران المارتلى ، اشتهر بإشبيلية بالصلاح وله شعر مدون منقول ... ولما جاز المنصور الموحدى البحر إلى الجهاد عامه الأول ، زاره ثم وجه إليه مالاً . فقال للرسول : هو أحوج فى ماله . قل له : هذه مائة من حلال خذها لنفقتك فى هذه الغزوة. إنى أرجو إن لم تطعم إلا الحلال أن تنتصر » .

(وانظر المغرب لابن سعيد — والتكملة لابن الأبار — والمقتضب من تحفة القادم) .

(٢) ذكر الحميرى « مارتلة » ثم قال : إنها على نهر بطليوس بجزيرة الأندلس . واستطرد فذكر أن منها موسى بن عمران . وساق بعض خبره كما قدمنا فى الحاشية السابقة .

ثم ذكر بعد ذلك مدينة أخرى سماها : ميرتلة « mérotola » تتفق وتعريف المؤلف لها هنا من أنها على وادى «آنة» وأنها من عمل باجة ، التى بينها وبين قرطبة مائة فرسخ . وظاهر أنهما شىء واحد . ورسم الكلمة فى مخطوط المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار يقرب شقة الخلاف ، فهى فيه : « يعرف بالميرتلى وأصله من ثغر ميرتلة » بالياء فى المرتين . وكذلك هى فى ابن الأبار ، أما رسمها فى « المغرب » و « النفح » (٤١ : ٢١٠) فبالألف كما هى هنا .

[67b] واحدَ وقته ، يزوره المُلوك ويتبرّكون به ويَستوهبون دعاءه / إلى أن كانت وفاته بإشبيلية سنة أربع وستمائة[1] .

وله نظم ونثر فى النَّصائح والزُّهد ، وذلك مُدوَّن مَشهور بأيدى الناس . وعُنوان ما ذُكر قولُه ، وكان ملتزماً لما نَصح به ، وفيه :

[مجزوء الكامل]

أَسْمع أَخَىَّ نَصيحتى ... فالنُّصح من مَحْض الدِّيانَهْ
لا تَقْرُبنّ[2] من الشها ... دة والوَساطة والأَمانَه
تَسْلم مِنَ أن تُعْزَى لِزُو ... رٍ أو فُضولٍ أو خِيانه

وقوله :

[سريع]

يا راغبًا فى أن يُرى شاهداً ... وحُكْمه بين الوَرى ماضِى
إيّاك فالعِزُّ خلافُ لها ... أَوّل ما تَخضع للقاضى
مُعرِّضًا وَجْهك فى كل ما ... يومٍ لإقبالٍ وإعْراض
كُن مُستريحًا فى الوَرى سارحا ... بكُل عيش نِلْته راضى
منفردًا لا تُفكرنْ بالذى ... يأتى ولا تَبْك على ماضى

وقوله :

[متقارب]

إلى كم أقولُ ولا أَفعلُ ... وكم ذا أحُوم ولا أَنْزلُ

---

(١) ذكر الحميرى أن وفاته كانت سنة ٥٩١ هـ .

(٢) فى المغرب : « إلى » .

/ وأزجُر عينى فلا تَرْعوِى وأنصح نَفْسى فلا تَقْبل [68a]
وكم ذا تعلّل لِى وَيْحهـــا بَعلّ وسوف وكم تَمْطُل
وكم ذا أؤمّل طُول البَقـــاء وأَغْفُل والموتُ لا يَغْفـــل
وفى كُل يومٍ يُنادى بنا مُنادِى الرَّحيل ألا فارْحَلوا
أمن بعد سَبْعين أرجو البَقـــا وسَبْع أتتْ بعدها تُعْجـــل
كأنْ بى وشيكاً إلى مَصْرعى يُساق بنَعشى ولا أُمْهـــل
فيا ليت شعرىَ بعد السُّؤال وطُول المُقام لمـــا أُنقل

وكان لا يَقبل من أحد شيئاً ، وإنما كان له ما يقوم به من مِلْك وَرِثه من جهة طيبة . وكان مع ذلك يَعمل الخُوص بيده فى خَلوته ويَبيعه ويتصدّق منه ، لأنه كان يرى كراهيةَ البطالة عن شُغلٍ لمثله . رحمة الله عليه .

الترجمة السادسة

[ابن خروف]

الشاعر المُحسن الشهير أبو الحسن علىّ بن محمد بن خَرُوف القُرْطبىّ.
[68 ب] وقفت على ترجمته فى « تاريخ حلب » و « تاج المعاجم » / وفى « زاد المسافر لأبى البحر »[1] . وتلقيتُ بعضَها من الحافظ الدمشقى وغيره من أدباء الشام ، إذ ذِكْره هنالك مشهور ، وهو إلى الآن على الألسن يَدُور .

أصله من القَيْذاف[2] ، الحِصْن المُضاف إلى أعمال غَرناطة ، وهو بين قُرطبة وبينها .

ونشأ أبو الحسن فى قُرطبة ورَحل قبل أن يعظُم اشتهار ذِكْره إلى المشرق ، فطبّق ذِكْره هنالك الآفاق ، وامتلأت بمحاسنه مَسامع الشام والعراق ، واستقرّ فى آخر أمره بحلب . وقال : [مجزوء الوافر]

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَه ... وفى حَلَبٍ صَفَا حَلَبِى[3]

---

(١) سبقت ترجمته فى الحاشية (رقم ١ ص ٣٨) من هذا الكتاب . وانظر ابن خلكان ، وبغية الوعاة ، والفوات ، ومعجم الأدباء ، والمغرب ، فقد ترجمت أيضاً لابن خروف .

(٢) ضبطها المقرى فى النفح (٣ : ٣٩٦) بالعبارة فقال : « والقيذاف ، بقاف ثم ياء آخر الحروف بعدها ذال معجمة ثم ألف وفاء » .

(٣) رابع أربعة أبيات بعث بها إلى بهاء الدين بن شداد بحلب يطلب منه فروة . والثلاثة التى قبله :

بهاء الدين والدنيـــا ... ونور المجـــد والحسب
طلبت مخـــافة الأنوا ... ء من جدواك جلد أبى
وفضـــلك عالم أنى ... خروف بـــارع الأدب

وقال الصاحبُ كمال الدين بن العَدِيم : كان يتردّد بين حَلَب والموصل ، يمدح الظاهرَ بن صلاح الدين[١]. ومدح نور الدين أَرْسلان شاه[٢]، إلى أن حَضر مرةً بدار العَدْل فى حَلَب عند الملك الظاهر فى إحدى ليالى شهر رمضان من سنة أربع وستمائة ، وتاج العُلَا الشَّريف يَعظه ، فأطال على عادته ، وكان ابنُ خَروف قد أتى بقَصيدة فى مَدح الظاهر أولها :

[بسيط]

/ شَمْسُ الهداية فى أبناء أَيُّوبِ أُختُ النُّبوة فى أَبناء يَعقوبِ [69a]

هم الملائكُ فى زِىّ المُلوك وهُم أُسْد الحرُوب وأقطابُ المحاريب

ثم خرج ليُريق الماء فى الظُّلمة فوقع فى جُب طَامٍ كان هنالك ، وهو جارٍ ، فمات فيه ، وأُطْلع منه ، والقصيدةُ قد ضَمّ عليها يده . فأمر الظاهر أن تُجعل صِلةُ القصيدة فى تجهيزه إلى قبره والصَّدقة عنه .

= (انظر النفح ٣ : ٣٩٦)

وقد أورد المقرى الأبيات مرة أخرى فى الجزء الخامس (ص ١٤) ثم قال : « وبعد كتبى لما ذكر خشيت أن يكون لابن خروف المشرق لا الأندلسى . والله تعالى أعلم » .

(١) انظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٦) من هذا الكتاب .

(٢) هو أبو الحارث الملك العادل أرسلان شاه بن مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنر صاحب الموصل ، الملقب نور الدين ، المتوفى سنة ٦٠٧ هـ .

ثم إنّ ابن السُّنَيْنيرة[١] الشاعر [جاء][٢] بعد ذلك بقصيدة ، ووجد تاج العُلا فى الدّهليز يُريد أن يَدُخل للوعظ ، فبادر وكتب للظاهر :

[كامل]

العبدُ قد وافَى ليُنْشِد مِدحةً ... بُنِيتْ قواعدُها على التَّخْفيفِ
وأخافُ من تاج العُلا تَطْويلَه ... ليلًا فأَلْحق مَلْحق ابن خَرُوف

فضَحك وأمر بإدخاله قبل وعظ تاج العُلا . فحضر وأنشد .

ومقطّعات ابن خَروف طيّارة ظَريفة ، كقوله فى غُلام سِنْدى :

[كامل]

ومُنَوّع الحركاتِ يَلْعبُ بالنُّهى ... لَبِس المحاسن عند خَلْعِ لباسِه
مُتأوّد كالغُصن بين رياضه ... مُتلفّت كالظّبى عند كِناسه [69b]
بالعقل يَلْعب مُقْبِلًا أو مُدْبِرًا ... كالدّهر يَلْعب كيف شاء بناسه
ويُضم للقدمين منه رأسه ... كالسّيف ضُمّ ذُبابه[٣] لرئاسه

وقوله فى غُلام خيّاط :

[بسط]

بَنى المُغيرة لى فى حَيّكم رَشَأٌ ... ظِلالُ سُمْركم تُغْنيه عن سَمُرِهْ
يُزْهَى بفَرْسِ الكُرْسِيّ من بَطَلٍ ... بإبرةٍ هى مِثْل الهُدْب من شُفُره

(١) هو الشيخ جمال الدين أبو المظفر عبد الرحمن بن محمد ، المعروف بابن السنينيرة الواسطى . (وفيات الأعيان ١ : ١٢٣) .

(٢) تكملة يقتضيها السياق . (٣) رئاس السيف : مقبضه .

إذا تألّق عنها الخيط[١] تحسبها شهابَ رَجْم جَرى والنُّور فى أثره

يودّ كل لسانٍ أن يكون لها لِبْداً إذا فرغت بالرَّقم من حِبَره

وهذا كُله مما لا يَخْفى أثرُ غَوْص الفكر فيه ؛ وهو من محاسن « كنوز المعانى » .

وكان الأستاذ أبو عِمران الطَّبرانى يتعجَّب من قوله فى غلام مُعذّر :

[طويل]

وكان غريبَ الحُسن قَبل عِذاره فلمَّا بدا صار الغَريبَ المُصنَّفاَ[٢]

ومن نوادره قولُه ، وقد حَبس القاضى محبوباً له[٣] :

[وافر]

أَقاضِى المُسلمين حكمتَ حُكْمًا غَدَا وبه الزمانُ له عَبُوساَ

سَجَنْتَ على دراهمَ ذا جمالٍ ولم تَسْجِنْه إذ غَصب النُّفوسا

وقوله وقد دعاه إلى طعامه ابن لُهيب الدمشقى : [70a]

[مجتث]

دعانىَ ابنُ لُهيب دُعاَء غير نبيـــهِ

---

(١) رواية هذا الشطر فى زاد المسافر ، والمغرب :

« كأنها فوق ثوب الخز جائلة »

(٢) يشير إلى كتاب الغريب المصنف ، لأبى عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . والرواية فى المغرب « فلما بدا صار » .

(٣) العبارة فى نفح الطيب (٣ : ٣٩٦) : « وقال فى صبي حبس » .

إن عُدْت يومًا إليه فوالدِى فى أَبيــه

وأنشدنى له أبو بكر بن الصَّابونى الإشبيلى[1] مُستطرفًا :

[مجتث]

مِثْلِى يُسَمَّى أديباَ مثلى يُسَمَّى أَرِيباَ
إذا وَجدْتُ كثيبا غَرست فيه قَضِيبا

ثم زاد من قوله :

ولا أُبالى خَصِيبا لَقِيتُه أَمْ جَدِيباَ

وأنشَدنى الشَّهاب القُوصى عنه ، وهى مَشهورة عند أدباء دمشق :

[وافر]

تَروق دِمَشْقُ ولدانًا وحُورًا وتُزْهى زَهْو جنّــات النَّعيمِ
إذا رحلتْ عَروبة[2] عن حِماها تأوّه كلُّ أَوَّاب حَلِيمِ
إلى سَبْتٍ حكى فرعونَ مُوسى يُجمِّع كل سَحَّــار عَلِيم
فتُبْصر كلّ أُمــلودٍ قَوِيمٍ يَمِيس وكلّ ثُعبان عَظِيم

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبى العباس أحمد بن الصابونى . شاعر إشبيلية الشهير الذكر . والذى أظهره مأمون بنى عبد المؤمن . وله فيه قصائد عدة . وله الموشحات المشهورة . من شعراء المائة السابعة . وقد رحل إلى القاهرة والإسكندرية فلم يلتفت إليه. ومات عند إيابه إلى الإسكندرية كمداً سنة ٦٣٦هـ. (انظر نفح الطيب ٥ : ٦٢ — ٦٤ — وعنوان المرقصات والمطربات ص ٥٠ — واختصار القدح المعلى) .

(٢) عروبة ، هى يوم الجمعة .

إذا انسابتْ أراقــه[1] عليه تَذكَّرْنَا بها لَيْــلَ السَّليم
[70b] /وشاهَدْنا بها فى كل حالٍ حِبالًا أُلقِيت نحــو الكليم
وتَحْشر فوق أخضر مُسْتدير ضَراغمة الشَّرى وهى[2] العَريم
بغَدْى صَبْوةٍ ومَراح أُنْس ومَوْرِد ظَبْيــة ومَراد رِيم
مُسلَّطة العيون على قُلوب مؤيَّدة الفُتون على حُــلوم
وتُبــدى بالصَّوالج فى كُراتٍ محاسنَ فِعْل أصحاب الرَّقيم
فتبصُر عند ذلك كيف تَسْطو بُدورٌ بالبُروق على نُجــوم
تَظَنّ كُراتها تَنْبتّ منهــا قلوبُ العاشقين عن الجُسوم
وما فى ضَرْبهــا ألمٌ بشىء من الأشياء إلا بالهُمــوم

وأهل دمشق قد اختصّوا بيوم السبت يعطّلون فى هذا اليوم من الجُمعة جميعَ أشغالهم، ويخرُجون إلى هذا الميدان الذى ذكره. فقوم يلعبون بالصَّوالج، وآخرون يُغنُّون السماع. وكُل أحد فيما مال إليه هواه، لا مثرِّب ولا مُنتقد. ويمتدون فى ذلك عن الميدان إلى المقاسم، حيث تنقسم أنهار دِمشق وتنصبّ إلى ما بين الشَّرفين المشهورين بالجسر.

[71a] ووقع لى فى ذلك / أيام مُقامى بها:

[مجزوء الكامل]

أمّا دِمَشْقُ فجَنَّــة يَبْنى بها الوطنَ الغَريبْ
لله أَيَّام السُّبو ت بها ومَنظرها العَجيب

(١) فى نفح الطيب (٥ : ٢٢٩) : « أراقمها عليها ».
(٢) العريم : الداهية.

أنظر بعَيْنك هل ترى إلا مُحِبًّا أو حَبيب
كلٌّ يبلِّغ نفسَـــه ما تَشْتهى مَرَحًا وطيب
فى حيث لا داع هنا لِسِوَى السُّرور ولا مُجيب
أرضٌ خَلَتْ مِمَّن يُنغِّـــص أو يُراقب أو يَعيب

وقلت أيضًا :

[بسيط]

أمّا دِمَشْق فما فى الأرض مُشْبِهها جنّات عَدْن بها ما يَشْتهى البَشَرُ
أرضٌ لَعَمْرك ما فيها لمُبتذل ذامٌ يَلومُ ولا فى صَفْوها كَدَرُ
وكلّ سَبْتٍ بها عِيدٌ تعودُ به آمالُهـــم وبه الزلّات تُغتفَر
كلٌّ إلى ما دعَتْه نفسُه عَجِلٌ كأنّما فُرْصة قد جاء يَبْتدر
حيثُ الميادينُ كالدِّيباج قد بُسطت خُضْرًا جَرَتْ حولها من مائها طُرَر
بها النعيمُ غدا للناس مُكتملًا مُطوَّلا وهو فى الآفاق مُخْتَصر
القُضْبُ راقصةٌ والطير صادحةٌ والنَّشر مُرتفع والمـاء مُنحدر
[71 b] / وقد تجلّت من اللّذات أوجهُها لكنّها بظلال الدَّوْح تَسْتتر
وكل وادٍ به مُوسى يُفجِّره وكل رَوْضٍ على حافاته الخَضِر

تراجم

سنة خمس وستمائة

اثنتان

١ — أسعد بن منجا الدمشقى

٢ — السيد أبو الحسن على

الترجمة الأولى

[ابن منجا]

الفقيه الخطيب الأديب أسعد بن مَنْجا الدِّمشقى .

فى « تاريخ حلب » أنه وُلد بدمشق سنة خمس عشرة وخمسمائة .

واشتغل بالأدب والفقه إلى أن ولى قضاء حَرّان[١] ، وخَطَب على منبرها للمُستضئ العبّاسى[٢] .

ومن شعره :

[وافر]

أَراشَ نِبَال مُقْلته فأَصْمَى ... غَزالٌ فاترُ اللّحظات ألْمَى

يُعلِّلنى بسَوْف وهَلْ وحَتّى ... وقَدْ وعَسى ولَيْت ولا ولَمّا

فأُوسِعه على التّفسيح حَمْداً ... ويُوسعنى على الإحسان ذَمّا

وجرى ذكره بحَرّان ، فأخبرنى بعضُ مَن ينتهى إلى الأدب من أهلها ، أنه كان جليلاً نَبيلا ، وله مقطَّعات / فى الغراميّات يَشْدو بها أهلُ الشارع . وحُفظ منها قولُه ، وفيه كفاية ودلالة على لطف مَنْزعه فى هذا الباب : [72 a]

---

(١) حران : قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان . وهى على طريق الموصل والشام والروم . (انظر معجم البلدان) .

(٢) هو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسى . ولد سنة ٥٣٦ هـ . وبويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ٥٦٦ هـ . وكانت وفاته سنة ٥٧٥ هـ .

[مجزوء الكامل]

يا مَنْ به أنا مُغْرَمُ ... أرْحم فشلِيَ يُرْحَمُ
لم يَبْقَ فىّ بقيّـــةٌ ... أُجْفَى بها أو أُظْلم
هذا زمانُك لو قَبِلْـ ... ـتَ وكُنْت ممّن يُنْعِم
ما الُحسْن إلّا دَولةٌ ... محبـــوبةٌ تُسْتَغْنَم
فإذا أنقضتْ وأَضَعْتَها ... جَهلاً بهـا فستَنْدم
أنا قد نصحتُ وبعد ذا ... نَفْسِى فِدَى مَنْ يَفْهم
والله حَسْبِي مَنْ يَعُو ... قك إنما هى أسْهُم
ومن العِذار يُخال رَقْـ ... ـماً وهو عندى أرقم
بالله خَـبِّرنى أَوَصْـ ... ـلِي فى الكِتاب مُحرَّم
ودَمِي حلالٌ ؟ ما أرى ... يُفْتِي بهـذا مُسْلم
ولقد ذكرتُ زمانَنا ... والشَّملُ عِقْدٌ يُنْظَم
فبكيتُه حتى بكتْ ... أسفاً عـــلىّ اللُّوَّم
يا حادِيَ الأظْعان قِفْ ... فلعلّ أن يَتَلَوَّمُوا
ولئن أقمتَ بمُهْجتى ... حيثُ اغتَدَوْا أو خَيَّموا
فأرى لواحظَ قاتِلِي ... من حيثُ ألّا يَعْلَموا
يا جِيرتى بالمُنْحنَى ... ما باُخْتيارى بِنْتُم

[72b] /لا أوْحش الله الحِمَى بأُهَيْل وُدِّى مِنْكُم
ما كنتُمُ إلا النَّعيـ ـم مخـــلَّدًا لو دُمْتُم
لا فارقَتْكم مُزْنةٌ تَبكى البلادَ فتَبْسم

وكانت وفاته سنة خمس وستمائة .

الترجمة الثانية

[ابن أبي حفص]

السيد أبو الحسن علىّ بن أَبى حَفْص [عمر] بن عَبْد المؤمن.

وقفت على ترجمته فى « معجم الشَّقُندى » و « معجم والدى » و « رحلة ابن حَمَّويه الدمشقى » .

وتلخيص أمره : أَنه كان من أجلّ بيته قَدْرًا ، وأطيبهم ذكرًا ، وأَسْفحهم يدًا ، وأمنعهم سندًا . وكان مألفًا للشعراء والأدباء .

ولابن الفَكُّون[1] الشاعر فيه أمداح مخلّدة ، ولغيره من الشعراء . وكان من أعلم الناس بأمور الرىّ والمَبانى . فرأى المنصورَ تَرْكه بمرّاكش يدبِّر مبانيه فى إحدى سَفَراته .

وطالت أيامه فى بجاية وأشتهرت إلى أن تغيّر ما بينه وبين / قاضيها [73a] أبى العبّاس أحمد بن الخَطيب[2] . وكانا فَرَسَىْ رِهَان فى الهمَّة والسّماح بالمال فى الأغراض ، وكل أَحد على قدر منصبه . فأكثرَ لَجَاجاتِه فى

---

(١) هو الفقيد الكاتب الأديب أبو على حسن بن الفكون . قال الغبرينى فى كتابه « عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية » : « من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم ، وتروق أشعارهم. رحل إلى مراكش وامتدح خليفة بنى عبد المؤمن . وأصله من قسنطينية » . (انظر عنوان الدراية ص ٢٠٢ — ٢٠٤)

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبى القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمى الخطيب ، قال الغبرينى فى كتابه « عنوان الدراية »(ص ١٤٤) : « هو أول بيت بنى الخطيب ببجاية ، ولى قضاءها من مراكش . وكانت له صلابة فى الأحكام وقلة مبالاة بأحد من الحكام » .

القاضى حتى عُزل. فجمع القاضى جميعَ ماله: اثنى عشر ألف دينار، فأخذه معه وطلع إلى مَرّاكش، فنزل فى جوار ابن مُثنَّى، وأراه أنه لم يقصد سواه، وهو حينئذ يجُرّ الدنيا جرًّا. فقال له: فيمَ جئت؟ أتطلُب أنْ ترجع إلى ولايتك؟ قال: لا، ولكن جئت فى أن أعزل الذى عزَلنى، وأَغلِب مَن غلبنى. قال: وبأى شىء تفعل ذلك؟ قال: بك وباثنى عشر ألف دينار جئتُ بها معى. قال: الآن حَصْحص الحق. فسعى ابنُ مُثنّى، فى عَزل السَّيد. واستعان بالمال فى الحاشية، إلى أن كتب للسيد بالعزل. فعند ما بلغه الخبرُ قال:

[مجتث]

لا تَحْقِرنَّ حَقِيرًا ... وتُهْمِلنَّ[1] غَموضَه
فرُبَّ سيّد قَوْمٍ ... أَوْدَى بِسَعْى بَعُوضَه
إنِّى خَمِرٌ ولكنْ ... قد أعقبَتها حُموضه

ثم ولّاه الناصرُ[2] بعد ذلك تِلِمْسان، وبَنى بها المَبانى المشهورة، [73 b] ثم اشتد مرضُه، فاستغفر ورَغب فى أن يَصل إلى الحضرة، فأُسعف. فوصل إليها ونَزل بها دارَه المشهورة بعظم النَّباهة وعُلو الهمم فى التدبير. إلى أن مات هنالك فى سنة خمس وستمائة.

وعَدّ ذلك أصحابُه من سعادته، فإنّ يحيى بن غانية المَيورقى[3] كان أَحرصَ الناس على أن يحصُل فى يده، لأنه لما هزمه المَيورق على

(١) غموضة: خامل ذليل.
(٢) انظر الحاشية رقم (١ ص ٣٣) من هذا الكتاب.
(٣) انظر الحاشية رقم (١ ص ٩٠) من هذا الكتاب.

قُسنْطِينية[١] وجد له مَطايا كثيرة للبناء، فقال: إذا كان يخرج بهذه المطايا إلى مثل هذا الموقف فكيف يكون فى مستقرّه ، والله لئن ظفرت به لأقلعن خُصاه .

قال الشّقُندى : فكان من ظَرْفه إذا أُنتشى تذكّر قولَ المَيورقى وجَعل يَصيح : بيضَنا يا ربّنا ! فلما كان فى سنة عَزله ووفاته ، وَلى تلمسان أبو عمران ، ابن عمِّه أبى يعقوب ، وخَرج إلى الميورقى ، وقد جاء إلى جهات تلمسان ، فكانت وقعة تاهَرْت[٢] التى قُتل فيها السيّد . [74a]

ومما يُعد من محاسنه حمايتُه لأصحابه وخُدَّامه ومن أنقطع إليه . وكان لا يَسمع فيهم قولَ ساع ويقول: إن الواحد منهم يَخْدُمنا فى الرخاء، ويَصحبنا فى الشدة، حين لا نَرى أحدًا ولا نجده لأمرٍ يَعِنُّ لنا ، فإذا عاد الله بالخير وأَسْهمناهم فيه حُسدوا ويُسعى بهم .

وقد ظهر من حِلْمه عن عِمارة الشاعر البِجائى[٣] ، حين هجاه وحَصل فى يده ، ما هو مَذكور مُخلَّد .

---

(١) قسنطينية : مدينة أزلية من حدود إفريقية مما يلى المغرب، تزاور عنها قلعة بنى حماد ذات الجنوب . (انظر معجم البلدان) .

(٢) تاهرت : اسم مدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لأحدهما: تاهرت القديمة، وللأخرى: تاهرت المحدثة . بينهما وبين المسيلة ست مراحل . وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد. (انظر معجم البلدان) . وانظر المعجب (٣١٤، ٣٣٠) .

(٣) هو أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسنى . قال الغبرينى فى « عنوان الدراية : « وقد ذكر لى أن شعره قد جمع فى ديوان ، ولكنى ما اطلعت عليه . وقد رأيت بعض قطع مستحسنة من شعره » .

وذكر أبو عبد الله بن إبراهيم الأُصولى[١] قاضى بجاية أنه قال : أحصيتُ ما وصلنى من السيّد أبى الحسن أيامِ كَوْنى معه ، فوجدتُ ذلك أربعين ألفاً .

وحكى التاج بن حَمّويه أنه لحقتْه عُطلة ولزمتْه دُيون فى مدة المنصور فكتب إليه من شعره[٢] :

[متقارب]

وُجوه الأمانى بكم مُسْفِرهْ ... وضاحكةٌ لىَ مُستبشرهْ
ولى أملٌ فيكمُ صادقٌ ... قَريبٌ عسى الله قد يَسَّره
علىّ دُيونٌ وتَصْحيفُها[٣] ... وعندكمُ الجُود والمَغْفره

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النهرى المعروف بالأصولى . قال الغبرينى فى عنوان الدراية : « من أهل بجاية ، رحل إلى المشرق ولقى العلية والجلة من أهل العلم ، وولى قضاء المدن بجزيرة الأندلس . واستخلف بمراكش ، وولى قضاء بجاية ثلاث مرات ، وصرف عن آخرها سنة ثمان وستمائة . وتوفى ببجاية سنة اثنتى عشرة وستمائة » .

(٢) فى النفح (٤ : ١٠٦) : « وذكر السرخسى أيضاً فى رحلته السيد أبا الحسن على بن عمر بن أمير المؤمنين عبد المؤمن ، وقال فى حقه : « إنه كان من أهل الأدب والطرب . ولى بجاية مدة ثم عزل عنها لإهماله وإغفاله وانهماكه فى ملاذه . ثم قال : « أنشدنى محمد بن سعيد المهدى كاتبه قال : كتب الأمير أبو الحسن إلى أمير المؤمنين يعقوب يمدحه ويستزيده ويطلب منه ما يقضى به ديونه » . ثم ذكر الأبيات .

(٣) وتصحيفها ، أى : ذنوب .

فرضى عنه وولّاهُ وأحسن إليه . وكتب إليه ابنُ عمه السيد أبو الربيع[1] :

[مجزوء الرجز]

[74a] /اليوم يومُ الجمعه يومُ سُرور ودَعَـــه
وشَمْلُنـــا مُفترق فهل تَرَى أنْ نَجمعه

فجاوبه :

[مجزوء الرجز]

اليوم يوم الجمعـــه وربُّنا قد رَفَعـــه
والشُّرْب فيه بِدْعةٌ فهل تَرى أن نَدعَه

ومن لطائفه أنه كان قد أرسل فى شُغل فتًى من خاصته ، كان من أجل الناس صُورةً ، واتفق أن عاقه عن بُلوغه إلى المَقصد عائق فعاد ، وأعلم بذلك ، وهو مُصطبح بالرَّبيع ، فقال :

[مجزوء الرمل]

أنعم اللهُ صـــباحاً للنَّـــدى عاد إلينا
وأقرّ اللهُ فيـــه للذى يَهْواهُ عَيْنـــا
لا رأينا بَيْننـا يا مَجْمع الآمالِ بَيْنـــا

(١) مرت ترجمته (ص ١٣١) من هذا الكتاب .

/ كُتب فى التاسع والعشرين من جُمادى الآخرة [75b]

عام خمسةٍ وثمانين وستمائة .

وأسأل الله خير ما يقضى به .